القسم الأول

تمهيد تاريخي

الفصل الأول

حياته

الفصل الثاني

أدبه

تمهيد تاريخي

عصر الشاعر :

عاش أبو مروان الجزيري في القرن الرابع الهجري[1] ، وتوفي في العقد الأخير منه سنة ٣٩٤ هـ ، وأول ذكر له كان في عصر الحجابة العامرية ؛ أي باستيلاء محمد بن أبي عامر على الحكم وتولّيه الحجابة وتلقبه بالمنصور عام ٣٧١ هـ ، لذلك فإننا سوف نشير إشارة سريعة إلى الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري ، ونفصّل القول شيئاً ما في الدولة العامرية حتى وفاة الجزيري ، مبرزين أهم الأحداث التي شارك فيها الجزيري أو كان له فيها ذكر .

عبد الرحمن الناصر لدين الله :

يعدّ القرن الرابع الهجري أزهى قرون الحكم العربي في الأندلس وأقواها

---

(١) من أهم مراجع التاريخ الأندلسي في هذا العصر: عنان ـ دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية ـ وقد استفدنا منه كثيراً في هذا التمهيد، نعنعي ـ تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، العبّادي ـ في تاريخ المغرب والأندلس، سالم ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، زيتون ـ محاضرات في التاريخ العباسي والأندلسي، زيتون؛ محمد ـ المسلمون في المغرب والأندلس، بيضون ـ الدولة العربية في إسبانية من الفتح إلى سقوط الخلافة، بدر ـ تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري ـ عصر الخلافة .

ومن أهم مراجع التاريخ الأندلسي العامة التي تطرقت لهذا العصر: الحجي ـ التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الفقي ـ تاريخ المغرب والأندلس، سالم ـ في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، محمد ـ محاضرات في التاريخ العباسي والأندلسي، شلبي ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، زكّار ـ في التاريخ العباسي والأندلسي، فكّار ـ في حوار الحاضر والماضي، مراد ـ تاريخ العرب في الأندلس .

على الإطلاق ، وقد بدأ بتولي عبد الرحمن بن محمد الحكم سنة ٣٠٠ هـ وعمره اثنان وعشرون عاماً ، بعد جدّه عبد الله ، وكانت مخايل الذكاء والألمعية والشهامة والحزم بادية عليه ، فاستطاع أن يمسك بزمام الأمور ويوطّد أركان الدولة الأموية في الأندلس ، وأن يقضي على الثورات الداخلية للمنشقّين من أصحاب الفتن من العرب والمولّدين ولاسيما فتنة ابن حفصون ، واستطاع كذلك أن يمنح الدولة هيبة أمام أعدائها الإسبان لكثرة غزواته لهم ، وتوالي انتصاراته عليهم ، حتى جنح أكثرهم للمهادنة بل لدفع الجزية وإقامة السفارات ، وبذلك قضى على الأخطار الخارجية المحدقة بهم ، المتمثلة في الممالك الإسبانية المتبقية ، وعاشت الأندلس في عهده الذي استمر نصف قرن (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) أزهى عهودها قوة ومنعة ورخاء وأمناً « ولم يبلغ أحد من بني أمية في الولاية مُدَّتَه فيها »[١] .

والناصر لدين الله هو أول خليفة أندلسي إذ كان من سبقه يحجمون عن التلقب بهذا اللقب الخطير ، لوجود خليفة للمسلمين في المشرق ، وقد أعلن نفسه خليفة سنة ٣١٦ هـ ، ومن أهم منشآته العمرانية بناء مدينة الزهراء ، وفيما يتعلق بسياسته في الحكم كان يعتمد على الصقالبة كثيراً والموالي والبربر لكسر شوكة الطامحين إلى الحكم من العرب وتفتيت عصبيتهم القبلية ، وسيكون لذلك أثره في الحياة السياسية فيما بعد ، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ٣٥٠ هـ .

الحكم المستنصر بالله :

تولى الحكم بعد الناصر لدين الله أكبرُ أولاده وولي عهده الحكم ، وتلقّب بالمستنصر بالله ، وقطف ثمار جهود أبيه الجبّارة في توطيد أركان الحكم ، وكان حسن السيرة فاضلاً عادلاً ، ذا خبرة جيدة في إدارة الحكم ، فاستمر على نهج أبيه في غزو الإسبان وردّ أخطار النورمانديين ؛ فضلاً عن غزواته في المغرب ، وكان محبّاً للعلم وأهله ، خيّراً ، ديّناً ، فأمر بإراقة الخمور وتوسعة المسجد الجامع في قرطبة ، وازدهرت الحياة العلمية في عصره أيّما ازدهار ،

---

(١) جذوة المقتبس ص١٣ .

إذ أسس المدارس وأسبغ العطاء على العلماء في مختلف العلوم ، وأنشأ مكتبة هائلة جمع فيها نفائس الكتب من كل حدب وصوب ، ونفقت في عهده سوق الآداب .

أنجب الحكم من جاريته صبح البشكنسية النافارية ولداً سمّاه عبد الرحمن سنة ٣٥١ هـ ولكنه لم يلبث أن مات فحزن لفراقه كثيراً ، وفي عام ٣٥٤ هـ ولدت له صبح ولداً آخر سمّاه هشاماً ، وفرح به جزلاً ، وأعدّ له كل ما يلزمه من معلمين ومؤدبين ، ومع ما عرف به الحكم المستنصر من رجاحة في العقل وبعد في النظر فقد كان ممن استهواه حبّ الولد وخالف الحزم في توريثه الملك من بعده ، وهو لم يزل في سن الصّبا ، واعتلّ الحكم في أواخر حياته فأسرع لتولية ابنه هشام الحكم فأخذ له البيعة سنة ٣٦٥ ، وقام صاحب شرطته أبو عامر محمد بن أبي عامر بأخذ البيعة له من سائر الناس ، ثم دعي لهشام في الخطبة في الأندلس والمغرب ونقش اسمه في السكّة ، ثم أصيب الحكم بالعلة الفالجية وتوفي سنة ٣٦٦ هـ ، رحمه الله تعالى .

هشام المؤيد بالله :

كان للصقالبة في زمن الحكم المستنصر نفوذ كبير وثراء عريض حتى إن أحد الفتيان الصقالبة وهو درّي الخازن أهدى الحكم قرية كاملة هي منية الغرّاء بوادي الرمّان من ضواحي قرطبة ، ذكر أنه لم يُشاهد أجمل منها في المتنزهات السلطانية ، وكان للفتيان الصقالبة الذين كانوا في قصر الحكم مكانة كبيرة ، ووصلوا إلى مراكز عظيمة خطيرة ، وكان من تدخُّل الصقالبة في الحكم أن أراد خادما الحَكَم الفَتَيان فائق وجؤذر تنحية هشام الصبي عن سدّة الحكم ، وتولية المغيرة بن عبد الرحمن الناصر أخي الحكم المستنصر بدلاً منه فكتما خبر موت الحَكَم وشرعا في تنفيذ خطتهما ، وكان عدد الصقالبة في القصر يزيد على الألف بيد أنهما لم يفلحا لوجود الحاجب المصحفي الذي كان وزير أبيه وحاجبه ومدبّر شؤون دولته ، ومحمد بن أبي عامر صاحب شرطته ، فقد جمع المصحفي أشياعه وأتباع الحكم وأخبرهم بمؤامرة الصقالبة فنهض ابن أبي عامر لقتل المغيرة ، وفعل ذلك ، وأخذت البيعة لهشام الصبي ـ على كره من

الصقالبة ـ وأجلس على عرش الخلافة ، ولم يتجاوز عمره الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، وكانت أمه صبح البشكنسية وصية شرعية عليه ، وبذلك كان لها النصيب الأكبر من الحكم وأمور الدولة ، ومن ثم الحاجب المصحفي وهو رئيس الوزراء ، وكان يحظى لديها حتى ظهر ابن أبي عامر المغامر الطموح وكان رئيس الشرطة وناظر الحكم ومتولي خطة المواريث .

الحاجب المنصور بالله :

ولد محمد بن أبي عامر في حصن طرّش من أعمال الجزيرة الخضراء ، و« كان شريف البيت قديم التعين ورد شابّاً إلى قرطبة فطلب العلم والأدب وسمع الحديث ، وتميّز في ذلك ، وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور »[1] ، وكان طموحاً ذكياً داهياً ذا عزم وشدّة ، لفت الأنظار إليه ، فعيّن مشرفاً لإدارة أملاك عبد الرحمن بن الحكم المستنصر ثم لأخيه هشام ، ثم جعل ناظراً على الخزانة العامة وعلى أمانة دار السِّكَّة ، ثم على خطة المواريث ، فقاضياً لكورة إشبيلية ولبلة ، ثم مديراً للشرطة الوسطى ، ثم ناظراً على الحشم الخاص ، وكان يلقب بفتى الدولة .

وبعد وفاة الحكم المستنصر استغل أبو عامر الظروف واستطاع التقرب من صبح الوصية على الخليفة الصبي هشام ، واستمالها فارتقى أعلى الدرجات في الدولة ، وصار ذا مكانة كبيرة منافساً الحاجب المصحفي ، ولكنه لم يتعرض له في البداية بل صانعه زمناً ، وانضمّ إليه في معارضته للفتيان الصقالبة ، ثم في كسر شوكتهم وتشريدهم وقتلهم .

في تلك الأثناء صار المصحفي حاجباً لهشام ، ورقّي ابن أبي عامر من الشرطة إلى الوزارة ، وانغمس الخليفة هشام في اللهو واللعب ، وحجر عليه ، ثم سار ابن أبي عامر لغزو بعض الممالك الإسبانية ورجع منتصراً محمّلاً بالغنائم ، ثم ما لبث أن صار والياً على قرطبة ، واستطاع بمصاهرته للقائد

---

(١) المعجب ص٢٨ .

غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة سالم وأشهر فرسان الأندلس أن يرجّح من كفته السياسية وسعى في عزل الحاجب المصحفي والسيطرة على مقاليد الحكم ، وفي سنة ٣٦٧ أصدر الخليفة الصوري هشام أمراً بإقالة الحاجب المصحفي والقبض عليه وعلى ولده ومصادرة أموالهم ودورهم ، وأودعوا السجن خمس سنوات ، ثم قتل المصحفي بتحريض من ابن أبي عامر ، وبذلك تخلص بمساعدة صبح من أشد منافسيه قوة وبأساً ، وفي محنة المصحفي وسجنه برز ـ المرة الأولى ـ ذكر الجزيري .

ثم تفرغ ابن أبي عامر لسائر معارضيه حتى أفناهم ، يقول لسان الدين ابن الخطيب : « ولم يُبق يداً يحذر بطشها إلا شلّها ، ولا عيناً بريبة نظرُها إلا فقأها . . قال بعض مَن تعنّى بأخباره : كان آية من آيات الله فطرةَ دهاءٍ ومكراً وسياسة ، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم ، ثم عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم ، ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه ، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه ، ثم انفرد بنفسه »[1] .

وأخذ ابن أبي عامر الحجابة وتسمّى بالحاجب المنصور بالله سنة ٣٧١ هـ ، وأمر بالدعاء له على المنابر ، وضرب اسمه في السكة ، وأتم مظاهر الأبهة الملوكية ، وقام بشؤون الدولة كلها ، وكان له الأمر والنهي ، وظلت الدولة منيعة في عهده لشدة هيبته وكثرة غزواته التي ناهزت الخمسين ولم يهزم في أية غزوة منها ، فضلاً عن غزواته في المغرب العربي ، وعلى يديه فتحت مناطق في الأندلس ، لم تكن قد وصلت إليها سنابك خيل الجيوش العربية من قبل ، ومن شعره الذي يدل عليه :

رميت بنفسي هول كلّ كريهة ... وخاطرت والحرّ الكريم مخاطر
وما صاحبي إلا جَنان مشيّع ... وأسمر خطّيّ وأبيض باتر
وإني لزجّاء الجيوش إلى الوغى ... أسود تلاقيها أسود خوادر
لسُدْت بنفسي أهل كل سيادة ... وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر

---

(١) أعمال الأعلام ص٦٥ ، ٧٧ .

وما شدت بنياناً ولكنْ زيادة على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا المعالي بالعوالي حديثة وأورثناها في القديم مَعَافِر[1]

وإلى جانب غزواته الكثيرة التي بسطت الأمن والاستقرار قام بتوسعة المسجد الجامع بقرطبة وزاد فيه مثليه ، وجدّد قنطرة قرطبة ، وقام بمنشآت كثيرة وبنى مدينة الزاهرة بشرقي قرطبة ، ورعى الحركة العلمية والأدبية حتى كثر الشعراء والأدباء واستبحروا في عصره ، فجعل لهم ديواناً يصنفهم وينفق عليهم ، وكان يساجلهم ويطارحهم قرض الشعر ويثيبهم عليه ، ويصطحبهم معه في فتوحه .

وكان للحاجب المنصور أولاد ثلاثة ؛ عبد الملك فعبد الله فعبد الرحمن ، والأخير من أحفاد شانجه بن غرسية ملك البشكنس الذي وفد إلى قرطبة لائذاً بالمنصور متقرباً إليه معلناً له الطاعة ، من بعد أن أنزل به المنصور هزائم فادحة ، وما لبث أن أهدى إليه ابنة له ، فأعتقها المنصور وسمّاها عبدة ، وتزوجها فأنجبت له ابنه الأصغر عبد الرحمن الذي كان ينبز بشنجول أو سانشول أي شانجه (سانشو) الصغير نسبة إلى جدّه لأمه ، وقد فرح به المنصور كثيراً وأقام لتطهيره منشآت واحتفالات وللجزيري شعر مهم في ذلك .

وكان المنصور يؤثر ابنه الأكبر عبد الملك مما أوغر صدر ابنه الأوسط عبد الله ، فالتجأ وهو في الحادية والعشرين من عمره إلى حاكم سرقسطة عبد الرحمن بن مطرف التجيبي ، وبيّتا الأمر على التخلص من الحاجب المنصور وتقاسم الأندلس بينهما ، وانضم إليهما بعض المعارضين ، وتنامت أخبار المؤامرة إلى المنصور قبل نضجها ، فأعمل الحيلة في القضاء عليها ، فاستدعى ابنه عبد الله من سرقسطة وأظهر له اللين واللطف ، وخرج غازياً إلى قشتالة واستدعى إمداد الثغور فجاءه عبد الرحمن بن مطرف وسواه ، فقبض عليه وقتله ، ثم فرّ ابنه عبد الله وكان في معسكره في أثناء حصاره لشنت إشتين ، ولجأ إلى غرسية فرناندیز كونت قشتالة ، فحماه ومنعه ، فطالب

---

(١) البيان المغرب ٢/ ٢٧٤ .

المنصور بتسليم ولده فأبى غرسية ، فظل يحاربه حتى اضطر إلى تسليمه فبعث بابنه إليه فأمر بضرب عنقه سنة ٣٨٠ ، وبعث به إلى الخليفة هشام مع كتاب الفتح ، ولعل كتاب الفتح هذا من صنع أديبنا الجزيري .

وفي سنة ٣٨١ رشّح ابنه عبد الملك لولاية الحجابة من بعده ، كما قلّد ولده عبد الرحمن خطة الوزارة ، ثم نهض لمحاربة زيري بن عطية ، وأرسل ابنه عبد الملك إلى المغرب ، ونهد هو إلى غزو أهم مدينة إسبانية لم تفتح من قبل هي شنت ياقب عاصمة إسبانية الدينية ، فخرج عام ٣٨٧ هـ برّاً وبحراً ، وفتح كل ما صادفه من مدن وقرى في طريقه إليها ، ثم وصل إليها فوجدها خالية ، فاستولى عليها المسلمون وهدموا الأماكن الدينية فيها وغنموا غنائم كثيرة ، وفي هذه المعركة العظيمة قام أديبنا الجزيري بإنشاء رسالة الفتح الجليل .

وفي سنة ٣٩٠ هـ حضّ سانشو غرسية كونت قشتالة الملوك والأمراء الإسبان على مقاومة الحاجب المنصور بكل طاقاتهم ، فعمد المنصور إلى أراضي قشتالة ، فلما وصل إلى صخرة جربيرة هاله ما رأى من وعورتها وحصانة العدو وكثرة عدده وعتاده ، وعاجل سانشو المسلمين بمهاجمتهم فاضطربت ميمنة الجيش وميسرته ، وعمد جمع غفير منهم إلى الفرار ، ولكن قلب الجيش الذي يقوده ابنا الحاجب المنصور لم يتراجع بل اندفع يحارب ببسالة حتى انقلبت الدائرة على الإسبان ، ورجحت كفة المسلمين ، فأمعنوا فيهم القتل والأسر وطاردوا فلولهم ، وفي هذه المعركة خسر المسلمون أكثر من سبعمئة رجل وغضب المنصور في هذه المعركة لتخاذل قسم من جنده ، وأمر وزيره وكاتبه الجزيري بإنشاء رسالة توبيخ للجند الفارّين من المعركة حينما حمي الوطيس .

وتابع المنصور غزواته وانتصاراته وآخر غزوة له كانت عام وفاته سنة ٣٩٢ هـ بعد أن حكم الأندلس ٢٦ سنة ، إذ اخترق قشتالة ووصل إلى قناليش وفي عودته اشتد به المرض وسار محمولاً على محفّة حتى وصل إلى مدينة سالم ومعه أديبنا الجزيري يلازمه حتى آخر لحظات حياته ، وتوفي فيها ودفن في صحن قصرها ، ولا يزال قبره معروفاً فيها ، وقد نُقش على قبره هذان البيتان :

آثـاره تنبيـك عـن أخبـاره حتـى كـأنـك بـالعيـان تـراه
تـالله لا يـأتـي الـزمـان بمثلـه أبداً ولا يحمي الثغور سواه[1]

عبد الملك المظفر بالله :

تولّى عبد الملك بن الحاجب المنصور حجابة الخليفة هشام بن الحكم بعد وفاة أبيه المنصور ، وكان قد تمرس في أمور الحكم أيام أبيه ، وعزم على المضي على خطاه ، ولكنه لم يكن في شدة المنصور ولا في بطشه ، يقول ابن الكردبوس : « فلم يسدّ مسدّه ، ولم يحلّ موضعه ، وكان يزاحم بغير عَوْد[2] ، وكان اسم أبيه حماه ، فلم يستبح إلا اليسير من حِماه »[3] ، وكان عبد الملك كثير الاهتمام بحياته الخاصة ومعاقرة الشراب ، وكان يعتمد في تسيير شؤون مملكته على الفتيان طرفة وخيران ومجاهد ، وعلى وزيره عيسى بن سعيد المعروف بابن القطّاع الذي كان وزير أبيه من قبل ، وهو صهر الجزيري ، وكان الفتيان الصقالبة ينقمون على ابن القطاع ولاسيّما طرفة خادم المظفر الذي استطاع أن يحلّ محله في تدبير أمور المملكة ، ومرض الحاجب في إحدى غزواته سنة ٣٩٤ فأوحى الجزيري لطرفة أن يستبدّ بالأمر وأن يحكم بدلاً منه كما حكم كافور الإخشيدي باسم مولاه ، ولما أبلّ الحاجب المظفر بالله من مرضه قبض عليه وأمر بقتله وقتل الجزيري وهو في طريق العودة من غزوته .

وتوالت غزوات المظفر في كل عام ، واعتلّ في غزوته الثامنة وهي الأخيرة له ، فرجع إلى قرطبة سنة ٣٩٩ هـ حيث شعر بتحسن فنهض للغزو ثانية فأصيب بنكسة شديدة توفي في إثرها بعد أن حكم ستة أعوام وبضعة أشهر .

---

(١) نفح الطيب ١/ ٣٩٨ .
(٢) العَوْد: الجمل الذي جاوز في السن البازل والمخلف، وفي المثل: زاحم بعود أو دعْ.
(٣) الاكتفاء ص٦٦ .

الفصل الأول

حياته

- موطنه واسمه ونسبه
- مولده
- أسرته
- حياته الأولى
- حياته في عهد الحاجب المنصور
- سجنه
- حياته في عهد الحاجب المظفر ووفاته

الفصل الأول

حيـاتـه

لم يحظ أبو مروان الجزيري من أصحاب الدراسات الأندلسية الحديثة بأكثر من إشارات يسيرة وبعض الترجمات المختصرة ونزر من المختارات ، ولعل هذه الترجمة الحاضرة للجزيري هي أول ترجمة مطولة له ، إذ كانت سائر الترجمات المحدثة لا تتعدى أسطراً معدودات ، لا تفي بحق الجزيري ولا تقدر هذا الكاتب الشاعر الوزير حق قدره .

موطنه واسمه ونسبه :

إن أطول صيغة لاسمه حصلنا عليها من المصادر الأندلسية المختلفة هي :

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الخولاني الأزدي .

وقد أجمع المترجمون له على النسبة الأولى « الجزيري » وهي نسبة إلى الجزيرة الخضراء في الأندلس ، وسنقوم بتعريفها باجتزاء أهم النقول الجغرافية عنها ، ينقل ابن سعيد « من كتاب الرازي[1] : مدينة الجزيرة الخضراء من أرشق المدن وأطيبها وأرفقها بأهلها وأجمعها لخير البَر والبحر وقرب المنافع من كل جهة ، توسطت مدن السواحل ، وأشرفت بسورها على البحر ،

---

(١) هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي الكناني، أبو بكر (٢٧٤ ـ ٣٤٤ هـ).
أديب شاعر إخباري كثير الرواية حافظ للأخبار، من أهل قرطبة، له مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها، منها:
أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم. وصفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها. وأنساب مشاهير أهل الأندلس. وكتاب تاريخه الأوسط، وكتاب تاريخه الأصغر. وكتاب مشاهير أهل الأندلس.
انظر: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١/ ٥٤، جذوة المقتبس ص١٠٤، بغية الوعاة ١/ ٣٨٥.

ومرساها أحسن المراسي للجواز ، وأرضها زرع وضرع ونتاج »[1] ثم يتابع فيقول : « وعندما يخرج الإنسان من بابها يجد المياه الجارية والبساتين النضرة ، ونهرها يعرف بوادي العسل سمي ذلك لحلاوته ، وعليه موضع سهل عليه حاجب مشرف على النهر والبحر في نهاية من الحسن يعرف بالحاجبية . ومن متنزهاتها : النقا ، ومقابرها حسنة في نهاية من الأخذ بالقلوب والفرجة ، وولاتها تتردد عليها من إشبيلية »[2] .

وفي كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار لابن الدلائي تعريف طويل بها ولمع من تاريخها نجتزىء ما يتعلق بوصفها يقول : « مدينة الجزيرة : رشيقة من المدن طيبة كثيرة البركات ، جامعة البر والبحر ، يشق أرضها نهر يعرف بوادي العسل ، توسطت مدن الساحل ، وشرف مرساها وسورها على البحر . . . والمسافة بين برّ الجزيرة ومدينة سبتة قريب جداً ، يرى الناس سورها ودورها ، ويرون بياض ثياب القصّارين[3] بها . وتتحرك السفينة من مرسى الجزيرة عند بزوغ الشمس فلا ترتفع قدر رمحين إلا وقد رست بمدينة سبتة . والجزيرة شرق من شذونة وقبلة من قرطبة . . . وشرق من مدينة الجزيرة مسجد يقال : إنه بناه أحد أصحاب النبي ﷺ أو أحد التابعين ، وهو أول مسجد بنى المسلمون في الأندلس ، ويعرف ذلك الموضع الذي هو فيه بقَرْطاجنة . فإذا قحط أهل الجزيرة أتوا إليه فاستسقوا فسقوا . ومسافة ما بين الجزيرة وبين قرطبة مئة وأربعة وسبعون ميلاً . . .

أقاليم الجزيرة : إقليم الحاضرة ؛ إقليم أَرُه ؛ وفيه الجبال الشامخة المنيعة بالوعر ، وثارت فيه الفتون بعد الفتون ، وهو بلد ثمرة لا بلد زرع ؛ إقليم صفح بني هِرْماز ؛ جزء عتاب ؛ جزء لَبْطيط ، جزء شريط ، جزء البربر ، جزء مقرون ، جزء خشين ، جزء حصن مجشر ، جزء مَشليس .

---

(١) المغرب في حلى المغرب ١/ ٣٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ .
(٣) القصّارون : الذين يحوّرون الثياب ويبيّضونها .

وفي ساحل الجزيرة موضع معروف على البحر لصيد الطير ، يأتيه في كل أوان من العام جنس من الطير لا يأتي في غيره . وتلك المواضع مستملكة عندهم يكتبونها في صدقات نسائهم ، ويتبايعونها بالأثمان الكبار ، ومن عندهم يجلب جلد النسر العجيب إلى أكثر بلاد الأندلس .

وكانت جباية كورة الجزيرة ثمانية عشر ألفاً وثمانمئة وثلاثة وسبعون ديناراً وستة دراهم بالوازنة »[1] .

ويسهب الحميري في روضه في الحديث عنها فيقول : « والخضراء أيضاً بالأندلس ، وهي الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم ، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها ، وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء ، وبينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلاً ، وهي على ربوة مشرفة على البحر ، سورها متصل به ، وبشرقيّها خندق ، وغربيّه أشجار تين وأنهار عذبة ، وقصبة المدينة موفية على الخندق ، وهي منيعة حصينة سورها حجارة ، وهي في شرقي المدينة ومتصلة بها ، وبالمدينة جامع حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف ، وهو في وسط المدينة في أعلى الربوة ، وأسواقها متصلة من الجامع إلى شاطىء البحر ، وعلى البحر بين القبلة والشرق من مدينة الجزيرة مسجد سري يعرف بمسجد الرايات ، ركزت فيه المجوس راياتها فنسب إليها ، وله باب من خشب سفن المجوس ، وبها كان دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل وأتقن بناءها وعالى أسوارها ، ثم اتخذها المنتزون[2] بها في الفتنة قصراً . وبغربي المدينة مدخل الوادي في البحر عليه بساتين كثيرة ، ومهبطه من حيث تدخله السفن ، ومنه شرب أهل الجزيرة ، ويسمونه وادي العسل ، ويمده البحر إلى قدر شطر المدينة ، وهو نحو نصف ميل ، وتجاهه أثر مدينة الجلندى الملك صاحب قرطاجنة إفريقية

---

(١) ترصيع الأخبار ص١١٧ ـ ١٢٠ .

(٢) المنتزون : الطامحون المنازعون، وانتزى على الأرض أخذها وتسرّع إليها .

بقبليّ مدينة الجزيرة ، وهي اليوم خربة تزدرع ، وبها حائط عريض مبنيّ بالحجارة داخل البحر ، ومن هذا الحائط كانت تشحن المراكب وبنى عليه محمد بن فلان برجاً .

ومدينة الجزيرة طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البَر والبحر ، قريبة المنافع من كل وجه لأنها وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس مجازاً إلى العدوة ، ومنها تغلّب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد إفريقية ، ولها ثلاث حمامات ، ولها كور كثيرة ، وكانت جبايتها ثمانية عشر ألفاً وتسعمئة . وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر عليهما السلام! ، وبها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة ، والجلندىٰ هو الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً ، حكي ذلك عن وكيع بن الجراح .

ومرسى الجزيرة مشتى مأمون ، وهو أيسر المراسي للجواز وأقربها من بر العدوة ، ويحاذيه مرسى مدينة سبتة ويقطع البحر بينهما في ثلاثة مجارٍ ويتلوه جبل طارق .

وللخضراء هذه سور حجارة مفرغ بالجير ، ولها ثلاثة أبواب وبها دار صناعة داخل المدينة وعلى نهرها المسمّى نهر العسل بساتين وجنّات بضفتيه معاً ، وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحطّ ، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأم حكيم المتقدمة الذكر ، والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام سنة [ثلاث و][1] تسعين من الهجرة على يد موسى بن نصير من قبل المروانيين ، ومعه طارق بن عبد الله بن ونموا الزناتي في قبائل البربر . وعلى باب البحر مسجد يسمى مسجد الرايات ، يقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأي وكان وصولهم أيضاً من جبل طارق ، وسمي بذلك لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصّن بهذا الجبل ، وقدّر أن العرب لا تثق به ، وأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها فبرىء بذلك مما اتهم به . وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال وهو جبل

---

(١) زيادة لازمة لتصحيح التاريخ .

منقطع مستدير في أسفله كهوف فيها ماء .

ولها من الأبواب الباب الكبير ويعرف بباب حمزة غربي ، وباب الخوخة قبلي ، وباب طرفة جوفي ، ولها ثلاثة حمّامات . وتغلّب المجوس عليها في سنة خمس وأربعين ومئتين وأحرقت المسجد الجامع بها ، وفي الشرق من مدينة الجزيرة مسجد يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ ، ويقال إنه أول مسجد بني بالأندلس ، ويعرف الموضع الذي فيه بقرطاجنة ، فإذا أقحط أهل الجزيرة استسقوا فيه فسقوا بفضل الله ورحمته . والجزيرة في شرقي شذونة وقبلي قرطبة ، ولها أقاليم عدة »[1] .

وتحدث الجغرافيون المشارقة عنها ، ونقتصر على ما ذكره ياقوت في معجمه : « الجزيرة الخضراء مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة ، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً ، وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر ، ولكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها ، كذا أخبرني جماعة ممن شاهدها من أهلها ولعلها سميت بالجزيرة لمعنى آخر على أنه قد قال الأزهري : إن الجزيرة في كلام العرب أرض في البحر يفرج عنها ماء البحر فتبدو ، وكذلك الأرض التي يعلوها السيل ويحدق بها ، ومرساها من أجود المراسي للجواز وأقربها من البحر الأعظم ، بينهما ثمانية عشر ميلاً ، وبين الجزيرة الخضراء وقرطبة خمسة وخمسون فرسخاً ، وهي على نهر بَرْباط ونهر لجأ إليه أهل الأندلس في عام محل ، والنسبة إليها جزيري وإلى التي قبلها جزري للفرق »[2] .

ووقف السمعاني في أنسابه عند هذه النسبة متعجباً فقال : « الجزيري : بفتح الجيم وكسر الزاي وسكون الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها وفي آخرها

---

(١) الروض المعطار ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، وانظر ـ كذلك ـ فرحة الأنفس لابن غالب ٢/ ٢٩٤ .

(٢) معجم البلدان ٢/ ١٣٦ .

راء . هذه النسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس من ديار المغرب ، والنسبة الصحيحة إلى الجزيرة : جزري ، وقد ذكرناه ، غير أن هذه النسبة كذا رأيته في كتاب الإكمال لابن ماكولا »[١] .

وكذلك وقف ابن الأثير الجزري عندها من دون أن يجد لها تفسيراً فقال : « الجزيري : بفتح الجيم وكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها في آخرها الراء ـ هذه النسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس ، ينسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري ، وغيره ، والنسبة الصحيحة إليها جزري ، ولكن هكذا ينسب إليها »[٢] .

وعلّل الزبيدي عدم اتباع هذه النسبة للقاعدة العامة في النسب بدفع اللبس بين النسبة إلى الجزيرة الخضراء وسواها فقال : « الجزيرة الخضراء : د ، بالأندلس في مقابلتها إلى ناحية الغرب ، ولا يحيط به ماء ، وإنما خص بهذا الاسم ، والنسبة جزيري لرفع الالتباس »[٣] .

أما نسبة **الخَوْلاني** فقد تفرّد ابن خاقان في المطمح[٤] بنسبة الجزيري إلى بني خَوْلان ، وتجدر الإشارة إلى أن محقق الكتاب ذكر أنه في نسخة ثانية « الجزيري » وعنه نقل المقري في النفح[٥] . و« خولان بن عمرو بطن من كهلان من القحطانية ، وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ »[٦] .

---

(١) الأنساب ٢/ ٥٧ ، وانظر الإكمال ٢/ ٢١٣ .
(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٢٧٨ .
(٣) تاج العروس مادة جزر .
(٤) مطمح الأنفس ص١٧٧ .
(٥) انظر نفح الطيب ١/ ٥٨٦ .
(٦) معجم قبائل العرب ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، وانظر قلائد الجمان ص١٠١ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٢٤٨ جمهرة أنساب العرب ص٤١٨ ، الأنساب ٢/ ٤١٩ ، اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٤٧٢ .

وكذلك تفرد ابن بشكوال في الصلة[1] بنسبته إلى **الأَزْد** ، وعنه نقل الذهبي[2] .

والأزد : قبيلة من أشهر قبائل العرب وأعظمها تنسب إلى الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن كهلان ، من القحطانية[3] .

وترد شهرته في المصادر الأندلسية والمشرقية التي ترجمت له أو ذكرت شيئاً من شعره أو أوردت ذكره بصيغتين ؛ الجزيري وابن الجزيري ، والصيغة الأولى هي الغالبة ، وقد ورد اسمه كاملاً ومجزوءاً في كليهما بصيغ هي :

أبو مروان الجزيري[4] .

أبو مروان عبد الملك الجزيري[5] .

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، وهي أهم الصيغ[6] .

عبد الملك بن إدريس الجزيري[7] .

---

(١) الصلة ص٣٦٥.

(٢) تاريخ الإسلام ص٣٠٣.

(٣) انظر: معجم قبائل العرب ١/ ١٥، قلائد الجمان ص٩١، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٩١ جمهرة أنساب العرب ص٤٨٤، الأنساب ص١٢٠، جمهرة النسب ص٦١٥ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٤٦.

(٤) الحلة السيراء ٢/ ٢٢٥، المغرب ١/ ٢٠٤، بدائع البدائه ص٣٥٦، الحماسة المغربية ص١٢٧٣ نفح الطيب ٣/ ٩٥، ٤/ ٣٠٦.

(٥) رايات المبرزين ص٢٣٠.

(٦) اختصار اقتباس الأنوار ص١٣٤، المعجب ص١٣٠، المغرب ١/ ٣٢١، الوافي بالوفيات ١٩/ ١٥٤.

(٧) إعتاب الكتّاب ص١٩٣ ـ ١٩٥، المقتطف ص٨٥، البيان المغرب ٣/ ٢٦، الروض المعطار ص٣٩١، الإحاطة ٢/ ١٠٧، أعمال الأعلام ص٧١، يتيمة الدهر ٢/ ١٠١، ورد مصحّفاً «المعروف بالخريري»، بدائع البدائه ص٣٤٩ ورد مصحّفاً «الحريري»، معاهد التنصيص ٣/ ٧٤ ورد مصحّفاً «الحريري» أيضاً. نفح الطيب ٣/ ٢٦٠.

عبد الملك بن إدريس الأندلسي[1] .

عبد الملك بن إدريس[2] .

عبد الملك الجزيري[3] .

الجزيري[4] .

تلك الصيغ السابقة جميعها لا خلاف بينها إلا أن بعض المصادر المتقدمة تضع لفظة (ابن) قبل نسبة (الجزيري) : ابن الجزيري ، وأبو مروان بن الجزيري ، وأبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري ، ولكن أغلبها يذكره من دون ابن معها في الصفحة نفسها أو في صفحات بعدها وفيما يلي بيان ذلك :

ففي كتاب البديع في وصف الربيع ذكر في المرة الأولى باسمه الكامل وهو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري[5] ، ثم ذكر ثلاث مرات باسم أبي مروان بن الجزيري[6] ، وذكر مرة أخرى باسم أبي مروان الجزيري[7] ، ومرة أخيرة ذكر بكنيته أبي مروان وحسب[8] .

وورد اسمه في كتاب جذوة المقتبس على الطريقتين ، ففي ترجمته ذكر باسم عبد الملك بن إدريس الجزيري ، أبي مروان ، مرتين[9] ومرة باسم أبي

---

(١) جمهرة الإسلام مخطوط ورقة ١٨٠ ب.

(٢) التشبيهات ص٩١، جامع بيان العلم ٢/ ٢٥٠، أحكام صنعة الكلام ص٢٤٨، الحلة السيراء ١/ ٢٦٦ البيان المغرب ٣/ ٢٥، أعمال الأعلام ص٧٢، سرور النفس ص٧٧.

(٣) الذخيرة ٤/ ١/ ٥٠ ـ ٥٢، ٤/ ١/ ٦٩، نفح الطيب ١/ ٦٠١، ٤/ ٦٦.

(٤) إعتاب الكتّاب ص١٩٦، المغرب ١/ ٣٢٢، نفح الطيب ١/ ٥٢٩ ـ ٥٣١، رحلة الوزير ص١٦.

(٥) البديع في وصف الربيع ص٨٠. اعتمدنا طبعة د. عسيلان وقابلناها على طبعة د. كردي المائلة للطباعة.

(٦) المصدر نفسه ص١٠٢، (١١٩ ـ ١٢٠)، ١٣٤.

(٧) المصدر نفسه ص١٢٥.

(٨) المصدر نفسه ص١٢٥ ـ ١٢٦.

(٩) جذوة المقتبس ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

مروان الجزيري[١] ، وفي ترجمة ابن دراج[٢] في خبر للحاجب المنصور مع كاتبيه وشاعريه ابن دراج والجزيري ذكر باسم أبي مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري[٣] وبابن الجزيري ثلاث مرات[٤] .

وأما كتاب الذخيرة في محاسن الجزيرة فيذكر فيه بالأسلوبين معاً بطرائق مختلفة في مواطن متعددة فينعته باسم أبي مروان الجزيري[٥] وعبد الملك الجزيري[٦] ، والجزيري عبد الملك[٧] والجزيري[٨] ، كما ينعته بأبي مروان ابن الجزيري[٩] وبابن الجزيري[١٠] ، إلا أن ما يقوّي كونه الجزيري لا ابن الجزيري أنه في ترجمته المختصرة له التي ذكر فيها خبر مقتله وشيئاً من شعره ونثره عنون له باسم أبي مروان الجزيري[١١] ، وكان يذكره بأبي مروان عبد الملك الجزيري[١٢] ، والجزيري[١٣] ، بيد أنه حينما نقل عن ابن حيان خبر

---

(١) المصدر نفسه ص٢٨١ .

(٢) «ابن درّاج (٣٤٧ ـ ٤٢١ هـ = ٩٥٨ ـ ١٠٣٠ م)
أحمد بن محمد بن العاصي بن درّاج القَسْطلي، الأندلسي، أبو محمد، شاعر كاتب من أهل «قَسْطَلّة درّاج» المسمّاة اليوم «Cacella»، قرية في غرب الأندلس منسوبة إلى جدّه. كان شاعر المنصور أبي عامر وكاتب الإنشاء في أيامه، له «ديوان شعر ـ ط» في مجلد ضخم، قال الثعالبي: كان بالأندلس كالمتنبي بالشام. وأورد ابن بسام في الذخيرة نماذج من رسائله، وفيضاً من شعره». الأعلام ١/ ٢١١ .

(٣) جذوة المقتبس ص١١٢ .

(٤) المصدر نفسه ص١١٢ .

(٥) الذخيرة ٤/ ١/ ٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٦٩ .

(٧) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٧٤ .

(٨) المصدر نفسه ٣/ ٢/ ٦٧٧ .

(٩) الذخيرة ١/ ١/ ٢١٨ .

(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢/ ٦٠٧، ١/ ١/ ١٠٣

(١١) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٤٦ .

(١٢) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٤٦ .

(١٣) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٤٦، ٤٧ .

موته فإنه غدا يذكره بالأسلوبين معاً ، ولا ندري هل كان ذلك منه أم كان وهماً من النسّاخ ، فذكر اسمه على التوالي بـ عبد الملك الجزيري ، فالجزيري ، فعبد الملك الجزيري ، فابن الجزيري ، فالجزيري ، فابن الجزيري ، فعبد الملك الجزيري ، فابن الجزيري[1] .

ولست أدري كيف لم يتنبه لهذا محقق هذا السفر العظيم شيخ محققي التراث الأندلسي الأستاذ الدكتور إحسان عباس جزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

وفي فهرسة ابن خير الإشبيلي ، يُذكر في البداية بأبي مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري[2] ، ثم يُذكر في سلاسل سند القصيدة الرائية باسم أبي مروان الجزيري[3] وعبد الملك بن إدريس الجزيري[4] .

وآخر ذكر للجزيري مسبوق بلفظة ابن في المصادر الأندلسية كان في كتاب الصلة لابن بشكوال إذ ذُكر فيه باسم عبد الملك بن إدريس الأزدي المعروف بابن الجزيري يكنى أبا مروان[5] .

ولا بد من التنبيه على أن هذا الكتاب وشطراً من المصادر الأندلسية فقراء إلى التحقيق العلمي الدقيق إلا أن الأمانة العلمية تقتضي منا الإشارة إلى الروايات المسبوقة بابن التي أَغفلَت الإشارةَ إليها أغلبُ الترجمات الحديثة له ، بل إن بعضها أوردته بالصيغتين معاً من دون التنبه لذلك ، هذا مع الاعتقاد بعدم رجحان تلك الرواية ، وزوالها بعد القرن السادس الهجري في المصادر الأندلسية ، أما في المصادر المشرقية ؛ فأكثرها على رواية الجزيري وأما مَنْ ذكره بابن الجزيري فقد كان نقلاً عن بعض المصادر الأندلسية التي ذكرته

---

(١) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٥٠، ٥١، ٥٢ .
(٢) فهرسة ابن خير ص٤١٠ .
(٣) المصدر نفسه ص٤١١ .
(٤) المصدر نفسه ص٤١١ .
(٥) الصلة ص٣٥٦ .

بذلك ، وهُمْ : ابن ماكولا إذ يقول : « والوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري ، من الجزيرة الخضراء بالأندلس » .

وكذلك السمعاني الذي يقول :

« والمشهور بهذه النسبة الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري من الجزيرة الخضراء بالأندلس »[١] .

وعنه نقل ابن الأثير الجزري فذكرأنه « ينسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري »[٢] .

وينقل الذهبي عن ابن بشكوال فيذكره باسم : « عبد الملك بن إدريس الأزدي أبو مروان بن الجزيري »[٣] .

وفي النسخة المخطوطة الفريدة لقصيدة الجزيري الرائية المذيلة بإجازة الحميدي لأبي الوفا أحمد بن محمد بن الحصين ، ذكر في أولها « جزء فيه قصيدة أبي مروان بن الجزيري رحمه الله ، . . . رواية ولده الكاتب أبي أحمد عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري عنه » وفي بداية القصيدة ذكر سنده عن الحميدي عن العمري وكرر ما ذكره سابقاً « أنشدني الكاتب أبو أحمد عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري عن الوزير أبيه رحمه الله . . . » .

ويؤكد هذا ويعضده أن الخطيب البغدادي التقى أبا نصر الحميدي في بغداد ، ونقل عنه ذلك السند وأبياتاً من القصيدة يقول : « أنشدني محمد بن أبي نصر الأندلسي ، قال : أنشدني أبو محمد عبد الله بن عثمان العمري الأديب بالأندلس ، قال : أنشدني أبو أحمد عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري الكاتب لأبيه »[٤] .

---

(١) الأنساب ٢/ ٥٧ .
(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٢٧٨ .
(٣) تاريخ الإسلام ص٣٠٣ .
(٤) تقييد العلم ص١٣٠ وانظر كذلك جذوة المقتبس ص٢٨٩ ، وبغية الملتمس ص٣٨٦ .

وبما أن ابنه عبد العزيز كان معروفاً لدى المترجمين الأندلسيّين بابن الجزيري فإن هذا مما يرجّح أن شهرته الجزيري ، فلا يعتقد بأن الأب والابن يتخذان لقباً واحداً ، وكذلك فإن أكثر المترجمين له يذكرونه بالجزيري من دون ابن ، لذلك كله فإننا نرجّح أن يكون اسمه الكامل هو **أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري** .

مولده :

يكتنف الغموض زمانَ ولادة الشاعر الكاتب ومكانَها ، أما زمان ولادته فغير معروف ، ولم تذكره المصادر التي ترجمت له ، غير أنه يمكننا تقريب الأمر قليلاً ، فنحن نعلم أنه توفي سنة ٣٩٤ هـ ، وأنه في قصيدته الرائية التي قالها في سجن المنصور ذكر أنه فقد الشباب وطار غرابه فشاب :

قـد شـاب همّـاً فـي اقتبـال شبـابـه إن كنت شبتُ مع الشباب المدبر[١]

وأن أول ذكر له كان في بداية عهد الحاجب المنصور الذي استولى على الحكم سنة ٣٦٦ هـ وتلقب بالحاجب المنصور سنة ٣٧١ هـ وتخلص من أهم منافسيه الحاجب المصحفي[٢] سنة ٣٧٢ هـ ، فقد طلب منه أن يرد على أبيات استعطفه بها الحاجب المصحفي في سجنه ولم تلق قَبولاً لديه ، فلا بد أنه كان في سنٍّ تؤهله لذلك ، ومن جهة أخرى لا نجد له ذكراً في عهد الحَكَم المستنصر الذي حكم بين ٣٥٠ و٣٦٦ هـ ، من ذلك كله يمكن التكهن بأنه ولد

---

(١) الديوان ص ١٤١ .

(٢) جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن الحاجب المعروف بالمصحفي (٠٠٠ ـ ٣٧٢ هـ = ٠٠٠ ـ ٩٨٢ م) وزير أديب أندلسي من كبار الكتّاب، وله شعر كثير جيد، أصله من بربر بلنسية، ولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر، ولما ولي الحكم استوزره وضم إليه ولاية الشرطة، وآلت الخلافة إلى ابنه هشام فتقلد حجابته وتصرف في أمور الدولة، وقوي عليه الحاجب المنصور فاعتقله وضيّق عليه فاستعطفه جعفر بمنظومه ومنثوره فلم يرق له، ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله . الأعلام ٢/ ١٢٥ . وقد جمعنا ما تبقى من أشعاره وأخباره .

في أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري ولعله في أثناء العقد الرابع أو الخامس منه .

وأما مكان ولادته فغير محدد أيضاً ، ولم ينص عليه أحد ممن ترجموا له ، وقد نبّه ابن سعيد في رايات المبرزين على ذلك فوضعه في فصل لمن لم يستطع تحديد بلدهم من الأندلسيين يقول : « هذا فصل يختص بما تيقنت أنه من الأندلس وتشككت في بلده »[1] ، إلا أنه وضعه في كتاب المغرب في حلى المغرب في قسم « الحلة الحمراء في حلى الجزيرة الخضراء »[2] .

ولعل مولده كان في **الجزيرة الخضراء** التي نسب إليها ؛ فنسبته «الجزيري» تشي بأن مسقط رأسه كان فيها وأنه لقب بالجزيري عندما ارتحل منها إلى قرطبة تذكيراً بأصله ، ومما يرجح ذلك قول الرشاطي في اختصار اقتباس الأنوار عن الجزيرة الخضراء : إنه « ينسب إليها أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بالجزيري »[3] .

أسرته :

لم تلتفت التراجم القديمة والحديثة التي عرّفت به إلى أسرته ، ولكن بعضها أشار إلى طرف من ذلك بطريقة غير مباشرة إذ ذكرت أنه أرسل قصيدته الرائية إلى ابنه عبد الرحمن ، يقول الثعالبي : « له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه »[4] .

كما ذكر أن راوي هذه القصيدة هو ابنه الأصغر عبد العزيز ، يقول الحميدي : « أنشدناها أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان القرشي عن الكاتب أبي أحمد عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس عن أبيه »[5] ، ويروي

---

(١) رايات المبرزين ص٢٣٠ .
(٢) المغرب ١/ ٣٢٠ .
(٣) اختصار اقتباس الأنوار ص١٣٤ .
(٤) يتيمة الدهر ٢/ ١٠١ وانظر جمهرة الإسلام مخطوط ورقة ١٨١ أ .
(٥) جذوة المقتبس ص٢٨٠ ـ ٢٨١ .

ابن خير الإشبيلي هذه القصيدة بسنده بطريق عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس مرتين[1] .

وقد عرّف الحميدي في جذوته بعبد العزيز تعريفاً يسيراً ، نقله عنه بحرفيته الضبي في بغيته[2] ولعله لم يجد ما يزيد عليه لاضمحلال هذه الأسرة وأفول نجمها ، يقول الحميدي : « عبد العزيز بن عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري : كاتب أديب ، روى عن أبيه قصيدته في الآداب والسنّة ؛ رواها لنا عنه أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان القرشي »[3] .

غير أن قصيدته الرائية تكشف لنا النقاب عن أفراد أسرته وتقدم لنا معلومات مهمة جداً لم تذكرها المصادر قطّ قديمها وحديثها ، أندلسيّها ومشرقيّها ، فهي تخبرنا بأن له **زوجاً وأولاداً خمسة وبنتاً واحدة** ، فبعد استهلاله بالحديث عن شوقه لأحبته وحزنه لفراقهم ووجده عليهم يفصّل ذكر هؤلاء الأحبة فيذكر أولاً زوجه التي كانت من أهل البلاد المحليين إذ ينسبها إلى بنات الأصفر ، ويسهب في وصف لحظة الفراق المريرة وطيف خيالها الذي يزوره وما إلى ذلك في ثلاثة عشر بيتاً : (الأبيات ٦ ـ ١٨) :

ها إنما ألقى الحبيب توهماً ... بضمير تذكاري وعين تفكري
سدّت سبيل الوصل وانحلّت عرا ... أسبابه بحلول يوم أزور
ترك القلوب صواديا يحدو بها ... حادي الردى بين اللهى والحنجر
فكأن نغبة بينها مزجت له ... في كأسه حمة الشجاع الأبتر
صفرت يداه كم شجا من طفلة ... صفراء تنسب في بنات الأصفر
قد قسّم التوديع لحظ جفونها ... قسمين بين معرّض ومعبّر
وترقرقت عبراتها فشغلنه ... عن شغله بسنا الوجوه الحسّر
وأراه عرفان النوى من حسنها ... مرأى من الموت الزؤام الأحمر

---

(١) فهرسة ابن خير ص٤١١ .
(٢) بغية الملتمس ص٣٨٦ .
(٣) جذوة المقتبس ص٢٨٩ .

أنّى لنا بالوصل إلا في الكرى ... لو أنّ وصل النوم لم يتعذر
فوصالنا لما تعذر بالمنى ... أو بالتحية في مثاني أسطر
ولربما حملتها ريح الصبا ... وسنا البروق المنجدات الغوّر
فإذا الدبور سرت برجع جوابها ... جاءت بأعطر من دخان المجمر
سقياً لمثواهم ومن يثوي به ... ولعهدهم إن كان لم يتغير[1]

ثم يذكر ابنه **عبد الرحمن** ويصف وجده عليه (البيتان ١٩ ـ ٢٠) :

يا عابد الرحمن جنبت الأسى ... كم من أسى لك في الجوانح مضمر
تتقطع الصعداء أنفاسي به ... وتفيض أجفاني وإن لم أشعر[2]

ثم يردف بذكر ابنه **عبيد الله** (البيتان ٢١ ـ ٢٢) :

أبلغ عبيد الله صنوك أنني ... لفراقه كالسادر المتحير
علقي النفيس الخطر أفديه من الـ ... ـخطب الملم بكل علق مخطر[3]

ثم يتابع بوصف ابنه **محمد** (البيت ٢٣) :

ومحمّداً لله درّ محمد ... زهر تفتّح غبّ مزن ممطر[4]

ثم يتوقف عند أحب أبنائه إليه ابنه الصغير **عبد العزيز** ، وهو راوي هذه القصيدة (الأبيات ٢٤ ـ ٢٧) :

وصغيركم عبد العزيز فإنني ... أطوي لفرقته جوى لم يصغر
ذاك المقدم في الفؤاد وإن غدا ... كفواً لكم في المنتمى والعنصر
إن البنان الخمس أكفاء معاً ... والحلي دون جميعها للخنصر
وإذا الفتى فقد الشباب سما له ... حب البنين ولا كحب الأصغر[5]

---

(١) الديوان ص ١٣٣ ـ ١٣٥ .
(٢) الديوان ص ١٣٦ .
(٣) الديوان ص ١٣٦ .
(٤) الديوان ص ١٣٦ .
(٥) الديوان ص ١٣٦ .

ثم يرفل بذكر ابنته من دون البوح باسمها (الأبيات ٢٨ ـ ٣٢) :

واذكـر بسـر تحيتـي مـن لـم أبـح ... لـك بـاسمـه ولعلـة لـم يـذكـر
ممـن أود لـه الـردى لا عـن قلـى ... وتـود لـو أبقـى بقـاء الأدهـر
بـأبي الـدراريّ المنيـرة فـي الـدجـى ... للنـاظـريـن وأنـت منهـا المشتـري
عوّضت عن رعيي لها وحضانتي ... رعيـي كـواكـب كـل داج أخضـر
وبحـال قـربـي مـن مطـالـع زهـرهـا ... حـال القصـي الثـاكـل المستعبـر[1]

ويذيّل بذكر امرأة ، ولعلها زوجته أو ما ضارع ذلك (الأبيات ٣٧ ـ ٤٠) :

كنتـم لنفسـي جنـة فـارقتهـا ... إذ راق منهـا كـل غـرس مثمـر
أسفـي علـى فقـد المتـاع بحسنهـا ... وظـلالهـا ونسيمهـا المتعطـر
الله يعلـم أننـي مـذ غيبـت ... عن ناظري هجرت حسن المنظر
وجنيـت صبـراً بعـدهـا مـرّ الجنـى ... ومريت سماً درة العيش المري[2]

ثم يرجعه الشوق أدراجه إلى ابنه الأصغر عبد العزيز فينثر أشواقه ويبث وجده إليه (الأبيات ٤١ ـ ٦٠) .

ثم يختم بذكر ابنه الأكبر الذي لم يورد اسمه لشدة قربه منه ، إذ كان مشاركاً له في زنزانته ، وإن كان معروفاً بأن الجزيري يكنى **بأبي مروان** (الأبيات ٦٠ ـ ٧٦) :

مـا خلتنـي أبقـى خـلافـك سـاعـة ... لـولا السكـون إلـى أخيـك الأكبـر
إنسـان عينـي إن نظـرت وسـاعـدي ... مهمـا بطشـت وصـاحبـي المستـوزر
وإذا شكـوت إليـه شكـوى راحـة ... ذكّـرتـه فشكـا إلـيّ بـأكثـر
أربـى علـيّ فحظـه ممـا بنـا ... حـظّ المعلّـى مـن قـداح الميسـر
قـد شـاب همّـاً فـي اقتبـال شبـابـه ... إن كنت شبت مع الشباب المدبر
أنحى الزمان عليه في حال الصبا ... ورمـاه مـن مكـروهـه فـي أبحـر

---

(١) الديوان ص ١٣٧ .
(٢) الديوان ص ١٣٨ .

بغـريبـة نكـراء مـن خطـرانـه ... بلقـاء أشهـر مـن كـذاب المنبـر
هـذا ولمّـا يلتبـس بخطـوبـه ... فـي مـورد منهـا ولا فـي مصـدر
إلا بقـول مـدافـع عـن نفسـه ... فيمـا جنـى بـاغ عليهـا مفتـر
قـدر أتيـح لنـا بلغنـاه معـاً ... ومـن العسيـر بلـوغ مـا لـم يقـدر
قـد ذقـت يتـم أبيـك قبـل وفـاتـه ... إلا تعلّـة مـرتـج متنظّـر
ورزئـت عمـر أخيـك فهـو لحـالـه ... كـالغـابـر المـودي وإن لـم يغبـر
فـانـدبهمـا حيـن وابـك عليهمـا ... فكـلاهمـا ميـت وإن لـم يقبـر
ابـك الغـريبيـن اللـذيـن تبـدلا ... بـالـدار والأهليـن أقصـى الأدؤر
وابـك الشجييـن اللـذيـن طـوتهمـا ... حال الفراق على الجحيم المسعر
الـواردينـ لهـا مـوارد كلمـا ... دعـوا إلـى إصـدارهـا لـم تصـدر[1]

حياته الأولى :

لا نكاد نعلم شيئاً عن حياة الجزيري الأولى في الجزيرة الخضراء ، فلا نعرف شيئاً عن طفولته وترعرعه وشبابه ، وتعلمه وتثقفه أو حياته العلمية الغزيرة التي أهلته أن يكون كبير كتّاب الحاجب المنصور وصاحب ديوان الإنشاء في أيامه ومن ثم وزيراً له ولابنه المظفر من بعده ، ولاسيما أن بعض من ترجموا له من القدماء أخبروا عنه بأنه « **عالم أديب** »[2] ، وكذلك من المحدثين إذ يقول د . النعنعي عنه إنه : « واحد من أكابر رجال العلم والأدب والفلسفة »[3] ، فلا بدّ أنه نهل من العلم وعلّ حتى وصل إلى تلك المراتب السامقة في بيئة الأندلس الثقافية الخصبة ، لأن العلم كان سلّماً يرتقي بوساطته إلى مجالس الحكم ، وإن أغلب الوزراء كانوا من العلماء والأدباء .

---

(١) الديوان ص ١٤١ ـ ١٤٣ .
(٢) جذوة المقتبس ص٢٨٠ ، وانظر الوافي بالوفيات ١٩/ ٥٤ .
(٣) تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ص٤٧٦ ، وانظرمعجم المؤلفين ٦/ ١٨٠ ، تاريخ التراث العربي ٥/ ٧٢ .

لم يذكر المترجمون له عن حياته الأولى سوى أنه « سكن قرطبة »[1] أو أنه « نزيل قرطبة »[2] ، وجعله الأستاذ الزركلي « من أهل قرطبة »[3] وكذلك الدكتور فروخ[4] ، ولا غرو في رحيله إلى قرطبة ولا جرم ، إذ كانت قرطبة قبلة العلماء والأدباء في الأندلس ، ودار حكم الخلافة التي تستقطب الطامحين للمشاركة في السلطة ؛ واجتمع الهدفان السابقان في الجزيري ، فكانت رحلته إليها واستقراره فيها ، ولكننا لا نعلم متى انتقل إليها وأقام فيها ، ولنا أن نتخيّل أنه استكمل أدواته العلمية فيها وصقل موهبته الأدبية ، النثرية والشعرية ، ومن ثَمَّ تدرّج في المناصب بما يحمله من مؤهلات في ديوان الإنشاء إلى أن صار في عداد الكتاب الذين يحضرون مجالس المنصور وينطقون باسمه بل غدا لسان المنصور وكاتبه الأول ووزيره .

حياته في عهد الحاجب المنصور (٣٦٦ ـ ٣٩٢ هـ) :

لعل **أول ذكر للجزيري** مع الحاجب المنصور كان في محنة الحاجب المصحفي (ت ٣٧٢ هـ) التي أسلفنا خبرها[5] ، فقد استعطف المصحفيُّ الحاجبَ المنصورَ بمقطوعة ميمية كتب إليه بها من محبسه ، يقول فيها :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم
يا خير من مدّت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ نعاه عندك القلم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ... إن الملوك إذا ما استُرحموا رَحموا

فما كان من الحاجب المنصور إلا أن « أمر عبد الملك بن إدريس أن يجاوبه عن هذه الأبيات ، فقال :

الآن يا جاهلاً زلّت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم

---

(١) الصلة ص٣٥٦ .
(٢) تاريخ الإسلام ص٣٠٣ .
(٣) الأعلام ٤/ ١٥٦ .
(٤) تاريخ الأدب العربي ٤/ ٩٢٤ .
(٥) انظر التمهيد التاريخي ص١٤ ـ ١٥ .

أغـريـت بـي ملكـاً لـولا تثبتـه ... مـا جـاز لـي عنـده نطـق ولا كلـم
فايأسْ من العيش إذ قد صرت في طبق ... إن الملـوك إذا مـا استُنقمـوا نقمـوا
نفسـي إذا سخطـت ليسـت بـراضيـة ... ولو تشفع فيك العرب والعجم[1]

علق د . النوش على هذه الحادثة بقوله : « ويبدو أن المنصور كان مصمّماً على أن يبلغ بمأساة الوزير غايتها ، فأصم أذنيه عنه ، وردّ عليه بشعر أنشأه عبد الملك الجزيري (ت سنة ٣٩٤ هـ) فيه كل معاني التيئيس والقسوة والتشفي »[2] .

وقد ساعده جَدُّه وبيانه وحدّة بديهته على أن يلفت الانتباه إليه ويشدّ الأنظار نحوه في المحافل والأعياد ، من ذلك ما أورده صاحب الذخيرة ، يقول : « ودخل يوماً صاعد[3] على المنصور في يوم مطير وعليه ثياب جدد وخفّ طريّ ، فمشى على حاشية الصهريج لازدحام مَنْ حضر فزلق وسقط في الماء ، فضحك المنصور وأمر بإخراجه ، وكاد البرد يأتي عليه ، فلما نظر إليه أمر بخلع ثياب له ، وأدنى مجلسه ثم قال له : يا أبا العلاء : هل قلت في سقطتك شيئاً فأطرق ثم قال :

شيئـان كـانـا فـي الـزمـان غـريبـة ... ضـرطُ ابـن وَهْـبٍ ثـم زلقـة صـاعـد

فاستبرد ما أتى به ، وكان الكاتب أبو مروان الجزيري حاضراً ، فقال له : يا أبا العلاء : هلاّ قلت :

---

(١) الحلة السيراء ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وانظر: الذخيرة ٤/ ١/ ٦٩، البيان المغرب ٢/ ٢٨٦، نفح الطيب ١/ ٦٠١، و٤١٩ من دون نسبة.

(٢) التصوير الفني ص٤٠٥ .

(٣) صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي، أبو العلاء، عالم بالأدب واللغة، قصّاص من الكتّاب الشعراء وله معرفة بالموسيقى والغناء، ولد بالموصل ونشأ ببغداد وانتقل إلى الأندلس زهاء سنة ٣٨٠ فأكرمه الحاجب المنصور فصنف له كتاب الفصوص على نسق أمالي القالي فأثابه عليه بخمسة آلاف دينار وأنشأ له بعض الروايات المسلية ولما مات المنصور لم يحضر صاعد مجلس أنس لأحد ممن ولي بعده، وادّعى ألماً لحق بساقه وعندما نشبت الفتنة خرج إلى صقلية فمات فيها عن سن عالية سنة ٤١٧ هـ. الأعلام ١/ ١٨٦ ـ ١٨٧، **وقد جمعنا ما تبقى من أشعاره وأخباره.**

سـروري بغـرتـك المشـرقـهْ وديمـة راحتـك المغـدقـهْ
ثنـانـي نشـوان حتـى هـويـ ـتُ في لجة البركة المطبقه
لئـن ظـل عبـدك فيهـا الغـريـق فجـودك مـن قبـل ذا أغـرقـهْ

فقال له المنصور : لله درّك يا أبا مروان ، قسناك بأهل العراق ففضلتهم فبمن تقاس بعد ، **فأنهض الجزيري للشرطة** »[1] .

إذاً ، فقد تسلّم الجزيري منصب رئيس الشرطة ، وهو مركز سياسي بالغ الخطورة ، ومن ثم ارتقى في المناصب السياسية والديوانية حتى تقلد « ديوان الإنشاء »[2] ، ويقول ابن خاقان مطلقاً لقلمه العنان : « تولى التحبير أيام المنصور والإنشاء ، وأشعر بدولته الأفراح والانتشاء ، ولبس العزة مدتها ضافية البرود ، وورد بها النعمة صافية الورود ، وامتطى من جياد التوجيه ، أعتق من لاحق والوجيه[3] ، وتمادى طلقه ، ولا أحد يلحقه »[4] .

وانتهى الجزيري إلى رتبة وزير للحاجب المنصور ، يقول الحميدي في ترجمته الموجزة المكثفة « عبد الملك بن إدريس الجزيري الكاتب أبو مروان ، وزير من وزراء الدولة العامرية ، وكاتب من كتّابها »[5] ويقول صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب عن المنصور إنه : « استوزر جماعة منهم : الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان الملقب بالمصحفي[6] ، ومنهم الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري »[7] ، ويجعله المقّري من وزراء المنصور المشهورين ، يقول : « وممن كان في أيام

---

(١) الذخيرة ٤/ ١/ ٣٥ ـ ٣٦، وانظر المغرب ١/ ٣٢٢، نفح الطيب ٣/ ٩٥ .
(٢) الذخيرة ١/ ١/ ١٠٣ .
(٣) لاحق والوجيه : فحلان من فحول الخيل .
(٤) مطمح الأنفس ص١٧٧ .
(٥) جذوة المقتبس ص٢٨٠ .
(٦) هذا وهم من المراكشي .
(٧) المعجب ص٣٠، وانظر الذخيرة ١/ ١/ ٢١٨، البديع ص٨٠ ـ ١٠٢ ـ ١١٩ ـ ١٢٥ ـ ١٣٤ ـ فهرسة ابن خير ص٤١٠ ـ الإحاطة ٢/ ١٠٧ .

المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولاني »[1] .

وكما بلغ الجزيري مرتبة عالية في الوظائف الإدارية فقد بلغ مرتبة عالية من الحاجب المنصور إذ غدا من المقربين منه ، وتمكن من قلب المنصور ببداهته ولباقته وحذقه فنادمه ، ومن ذلك ما يروي الحميدي قال : « أخبرني أحمد بن قاسم أبو عمر جار كان لنا بالغرب أن عبد الملك بن إدريس بن الجزيري كان ليلة بين يدي المنصور أبي عامر في ليلة يبدو فيها القمر تارة وتخفيه السحاب تارة فقال بديهة :

أرى بدر السماء يلوح حيناً ... فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لأنه لما تبدّى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا
مقال لو نمي عني إليه ... لراجعني بتصديقي جوابا »[2]

وورد الخبر نفسه في المطمح بتفصيل أكثر وتكلّف أشد وتخيّل أبعد ، إذ يتصور ابن خاقان أن الجزيري كان في مجلس مع سائر حاشية المنصور من أدباء وعلماء وغلمان . . يقول : « ودخل ليلة على المنصور ، والمنصور قد اتكأ وارتفق ، وحكى بمجلسه ذلك الأفق ، والدنيا بمجلسه ذلك مسوقة ، وأحاديث الأماني به منسوقة ، فأمره بالنزول فنزل في جملة الأصحاب ، والقمر يظهر ويحتجب في السحاب ، والأفق يبدو به أغرّ ثم يعود مبهماً ، والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما ، وأبو مروان قد انتشى ، وجال في ميدان الأنس ومشى ، وبرد خاطره قد دبجه السرور ووشى ، فأقلقه ذلك المغيب والالتياح ، وأنطقه ذلك السرور والارتياح ، فقال . . . »[3] .

ويصل الخبر إلى ابن سعيد فينصّ نصّاً صريحاً على شرب الجزيري في هذا

---

(١) نفح الطيب ١/ ٥٨٦ وانظر كذلك ١/ ٥٢٩ .
(٢) جذوة المقتبس ص٢٨١، وانظر بدائع البدائه ص٣٤٩، الوافي بالوفيات ١٩/ ٥٤، سرور النفس ص٧٧، نفح الطيب ٣/ ٢٦٠ ـ ٤/ ٦٧ . معاهد التنصيص ٣/ ٧٤ .
(٣) مطمح الأنفس ص١٧٩ .

الخبر ، يقول : « وشرب ليلة مع المنصور فكان ما أوجب أن ارتجل »[١]

وفي شعر أبي مروان الجزيري المتبقي مقطوعة واحدة يصف فيها الخمرة ومجلس الشراب واللهو[٢] .

ويغدو أبو مروان أداة إعلامية سياسية بالغة الأهمية في النثر الديواني ، تسجل الأحداث السياسية الدقيقة من فتوح وحروب داخلية وغزوات تمجّد الفتوح وترسل كتب الفتح إلى سائر أمصار الأندلس بأمر من الحاجب المنصور وعلى لسانه أيضاً ، بالإضافة إلى كونه أداة **إعلامية تسويغية** ، ومع أن أكثر أخباره غير محدد بتاريخ فإننا سوف نحاول ترتيبها بما تحويه من قرائن تاريخية وإن كانت تقريبية ، حتى تكون صورة حياته أقرب ما تكون إلى الواقع والحقيقة ، فنحن نجده في مقطوعة له يسوّغ ما قام به الحاجب المنصور بمناسبة ختان ابنه عبد الرحمن الملقب بشنجول أو سانشول أي شانجُه (سانشو) ، ونحن نعلم أنه حفيد سانشو غرسية الذي قدّم ابنته هدية للحاجب المنصور بُعيد ٣٧١ هـ فأعتقها المنصور وسماها عبدة وتزوجها بعد إسلامها ، كما أن ابنه عبد الرحمن هذا قد تولّى الحجابة سنة ٣٩٩ وكان في الخامسة والعشرين[٣] أي إنه ولد نحو ٣٧٤ هـ ، ومن ثم فإن تاريخ ختانه وتلك الحادثة بُعيد هذا التاريخ ، يذكر صاحب الذخيرة : « أن المنصور بن أبي عامر صنع صنيعاً في ذلك الأوان لتطهير ابنه عبد الرحمن ، وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق إلى دينارين ، فجلا الناس ، فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت في السماء سحابة عمّت الأفق ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس ، وسرّ ابن أبي عامر فقال الجزيري بديهة :

أمـا الغمـام فشـاهـد لـك أنـه ... لا شك صنوك بل أخوك الأوثق

وافى الصنيع فحين تم تمامه ... في النحو أنشأ ودقه يتدفق

---

(١) المغرب ١/ ٣٢٢ .

(٢) انظر الديوان ص١٧٩ .

(٣) دولة الإسلام في الأندلس ص٦٢٣ .

وأظنـــه يحكيـــك جـــوداً إذ رأى في اليوم بحرك زاخراً يتفهق »[1]

كما كان الحاجب المنصور يصحب الجزيري فيمن يصحب من قوّاد ووزراء وأدباء وشعراء ، وقد نص على ذلك ابن الخطيب ضمن طائفة الشعراء « الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري »[2] .

وذلك ليسجلوا مآثر المنصور ومفاخره ، ويكونوا لسانه الإعلامي المسوّغ لأفعاله حسنها وقبيحها لذلك ليس غريباً أن يكون الجزيري الذي أنشد شعراً مسوغاً ما أنفقه المنصور في بناء منشأة عمرانية بمناسبة ختان ابنه عبد الرحمن ، يكتب مسوّغاً محاربة المنصور ابنه الأوسط عبد الله وقتله حين خروجه عليه ـ كما أوضحنا في التمهيد التاريخي ـ لذلك فإن تاريخ هذه الرسالة هو في عام ٣٧٩ هـ ، فقد نهد الحاجب لقتال ابنه سنة ٣٧٩ واعتقله ثم فرّ ثم اعتقله ثانية وقتله عام ٣٨٠ هـ ، أشار ابن عبد الغفور إلى ذلك بطريقة غير مباشرة فذكر أن الجزيري « قد خرج مع المنصور في طلب ابنه عبد الله ، وقد فرّ عنه إلى جيليقية[3] واعتصم بطاغيتها ، فعلم أنه ظافر به ، وقدم إلى العمل في ذلك طول سفره . . »[4] .

وثمة ثلاث مقطوعات شعرية ونثرية ترجع إلى عام ٣٨٣ هـ يمدح فيها المنصور بن أبي عامر في حلّه وترحاله ، ويمزجها بوصف الأزاهير ، تشي

---

(١) الذخيرة ٤/ ١/ ٤٦ وانظر نفح الطيب ١/ ٥٣٠ .

(٢) الإحاطة ٢/ ١٠٧ .

(٣) جِلِّيقِيّة : بكسرتين واللام المشددة، وياء ساكنة، وقاف مكسورة، وياء مشددة، وهاء: ناحية قرب ساحل البحر المحيط من شمالي الأندلس، في أقصاه من ناحية الغرب، وصل إليها موسى بن نصير لما فتح الأندلس، ودور مملكتهم شبيهة بماردة إتقان بنائها وصنعة أسوارها، هدّمها المسلمون وأجلوا أهلها، وبلد الجليقيين سهل، وتنتهي أحواز الجليقيين في الجوف إلى البحر المحيط، وفي القبلة إلى أحواز مدينة طلسونة، وقاعدتهم مدينة طلسونة، وقاعدتهم مدينة أقش، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير على نهر لهم . معجم البلدان ٢/ ١٥٧ ، الروض المعطار ص١٦٩ .

(٤) إحكام صنعة الكلام ص٢٤٨ .

بمكانته الكبيرة لدى المنصور ، فالأزاهير التي انتقاها هي أسماء بنات المنصور ، يقول ابن بسّام : « من شعره ـ أيضاً ـ مما اندرج له في أثناء نثره الذي ملح فيه مخاطبته على ألسنة أسماء كرائمه بزهور رياضه »[1] .

وتدل هذه المقطوعات على حبه للحياة المرحة الطلقة بوصفه الطبيعة الباسمة عامة ، وأزاهيرها خاصة ، وقد بلغ ذلك في شعره مبلغاً كبيراً ، إذ ابتكر نوعاً من المديح على ألسنة الأزاهير ، ومن جهة أخرى تعدّ إحدى هذه المقطوعات من المفاخرات والمناظرات المتقدمة في الزمن بين أنواع الأزهار في الأندلس ، وقد حفظ لنا أبو الوليد الحميري ثلاثاً من هذه المقطوعات الشعرية والنثرية المؤرخة في سنة ٣٨٣ هـ ، يقول في أسبقها تاريخاً : « وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيري إلى المنصور أبي عامر ـ رحمهما الله ـ عن نرجس العامرية في أول يوم من كانون الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، فأبدع واخترع ، وهو :

حيّتك يا قمر العلا والمجلس ... أزكى تحيتها عيون النرجس
زهراً تريك بشكلها وبلونها ... زهر النجوم الجاريات الكنس
طلعت مطالعها على مخضرة ... من سوقها كسيت برود السندس
فتزيّنت حسناً أتم تزيّن ... وتنفّست طيباً ألذ تنفّس
وملكن أفئدة الندامى كلما ... دارت بمجلسهم مدار الأكؤس
ملك الهمامِ العامريّ محمد ... للمكرمات وللنهى والأنفس
لبس الزمانَ وأهله من عهده ... وفعاله المشكور أكرم ملبس
فإذا ذهبت إلى الثناء فقفه من ... بين الأنام على علاه واحبس[2]

ويقول في ثانيتها : « وكتب الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري إلى المنصور بن أبي عامر ـ رحمه الله ـ عن بنفسج العامرية

---

(١) الذخيرة ٤/ ١/ ٤٧ .

(٢) البديع في وصف الربيع ص١١٩ ـ ١٢٠ وانظر الذخيرة ٤/ ١/ ٤٨ ونفح الطيب ١/ ٥٣١ .

يوم الأضحى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة رسالة موصولة بشعر ، جمالها باهر وكمالها ظاهر ، احتج له فيها احتجاجاً طريفاً وعضده به عضداً ظريفاً ، وآثره على النرجس والبهار بإشارات جليلة المقدار . . »[1] .

ويقول في ثالثتها : « وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيري إلى المنصور أبي عامر بن أبي عامر وهو بأرْمِلاَّط[2] عن بهار العامرية ، في كانون الأول الكائن في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة »[3] .

وتدل مقدمة المقطوعة الأخيرة على أن الجزيري يستعمل هذا الأسلوب الطريف في رسائله إلى الحاجب المنصور وهو غائب بعيد عنه كما يستعلمها وهو حاضر قريب منه .

ولا يقتصر حبه على هذين النوعين من الأوراد بل ذكر السوسن[4]

---

(١) البديع في وصف الربيع ص٨٠ وانظر الشعر والرسالة في الذخيرة ٤/ ١/ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠، نفح الطيب ١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .

(٢) أرْمِلاّط : يرد ذكرها في بعض المصادر الأندلسية من دون تعريف لها وأهم ما استطعنا معرفته عنها أنها من أحواز قرطبة وكانت وفاة عبد الملك المظفر في الطريق قبالة دير أرملاط، وفيها قتل أخوه عبد الرحمن شنجول في منزل ابن هانىء من أرملاط أدنى محلاته إلى قرطبة، وأن أرملاط خارج قرطبة وعلى مشارفها، وقد فاخر بها أبو مروان عبد الملك بن شهيد أبا العلاء صاعداً البغدادي الذي كان كثيراً ما يتغنّى ببلاد العراق ويصفها فقال :

ولا تبـــال أبـــا العـــلاء زهـــا بخمـــر قطـــربّـــل وكلـــواذا
مـــا دام مـــن أرمـــلاطَ مشـــربنـــا دعْ ديـــر عمّـــى وطيـــزنـــابـــاذا

ذكرها صاحب البيان المغرب وبين أن فيها بعض قصور الحجّاب العامريين ومتنزهاتهم، ثم أفل نجمها وخربت في الفتنة البربرية نحو ٤٠٠ هـ. أعمال الأعلام ص٨٩ ـ ٩٨ ـ ١١٣ ، البيان المغرب ٣/ ٣ ـ ١١ ـ ٤٩ ـ ٧١ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٨ ـ ١٠٦ ، المقتبس ٥/ ٤٤٤ ، الذخيرة ٤/ ١/ ٢٧ ، نفح الطيب ٣/ ٢٦٠ .

(٣) البديع في وصف الربيع ص١٠٢ وانظر الذخيرة ٤/ ١/ ٣٥، نفح الطيب ١/ ٥٣١، ٤/ ٦٦ ـ ٦٧ ، شرح مقامات الحريري ١/ ١٠٦ .

(٤) البديع في وصف الربيع ص١٣٤ .

والورد[1] كذلك ، وتجلّى ولعه بالأزاهير في كون الورد موضوع رسالة شعرية إخوانية أرسلها إلى الوزير أبي مروان عبد الملك بن شهيد[2] ـ والد الشاعر الشهير ، يقول صاحب البديع في وصف الربيع : « وكتب ـ أيضاً ـ أبو مروان إلى الوزير أبي مروان عبد الملك بن شهيد في أخريات أيام الورد بأبيات أنيقة الصفات وهي :

قل للوزير الذي جلّت فضائله فسّر لنا شرح معنى سال سائله »[3]

كما يرد ذكر أبي مروان الجزيري في معركة شنت ياقب[4] ، إذ يأمر المنصور كاتبيه وشاعريه الجزيري وابن دراج بإنشاء رسائل في تمجيد هذا الفتح لترسل إلى قرطبة وسائر المدن ، وذلك في سنة ٣٨٧ هـ إذ خرج المنصور من قرطبة في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وأشرف المسلمون على مدينة شنت ياقب يوم الأربعاء الثاني من شعبان في السنة نفسها ؛ ينقل الحميدي عن ابن حزم « أن المنصور أبا عامر لما فتح شنت ياقب أو غيرها من القلاع

---

(١) المصدر نفسه ص١٢٥ .

(٢) «ابن شهيد (٣٢٣ ـ ٣٩٣ هـ = ٩٣٥ ـ ١٠٠٣ م)
عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي، أبو مروان: وزير من أعلام الأندلس ومؤرخيها وندماء ملوكها، ولد ومات بقرطبة، له تاريخ كبير يزيد على مئة جزء بدأه بعام الجماعة (سنة ٤٠) وختمه عام وفاته مرتباً على السنين» الأعلام ١٥٦/٤ .

(٣) البديع في وصف الربيع ص١٢٥ .
وقد ظن ابن بسام أن المرسل إليه هو أبو عامر عبد الملك بن شهيد الشاعر المشهور صاحب رسالة التوابع والزوابع، ووهم في نسبة الأبيات التي رد بها الجزيري إليه (الذخيرة ١/ ٢/ ٢١٨) وتبعه مَنْ تعرّض لهذه الأبيات من المحدثين وسنعالج ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

(٤) شنتَ ياقُب: ياء مثناة من تحت، وبعد الألف قاف مضمومة ثم باء موحدة، ويقال شنت ياقوب، مدينة حصينة بالأندلس في ثغور ماردة، يقال إنها أقيمت فيها كنيسة على جسد يعقوب الحواري ثم توسعت وصارت مزاراً لهم، وقد غزاها عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٧ هـ وأوسع أهلها قتلاً وأسراً، وقراها وأسوارها هدماً وإحراقاً. معجم البلدان ٣/ ٣٦٨، الروض المعطار ص٣٤٨.

الحصينة التي يقال إن أحداً لم يصل إليها قبله استُدعي أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج ، وأبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري ، وأمرا بإنشاء كتب الفتح إلى الحضرة وإلى سائر الأعمال »[1] غير أن رسالتيهما ـ لسوء الحظ ـ قد ضاعتا .

سجنه :

إن الحدث الرئيسي في حياته هو **دخوله السجن** غير مرة في عهد الحاجب المنصور ، ثم وفاته في سجن ابنه المظفر ، أما زمن دخوله سجن الحاجب المنصور الذي استبد بالأمر سنة ٣٦٦ ، وتلقب بالحاجب المنصور سنة ٣٧١ ، وتوفي سنة ٣٩٢ هـ ، فهو غير معروف ، ومع أن أغلب حوادث حياته غير محددة زمنياً فقد استطعنا أن نضع صوى بارزة لها ، وفيها جميعها كانت علاقة الجزيري بالحاجب المنصور جيدة جداً ففي :

سنة ٣٧٢ هـ ـ أول ذكر له مع الحاجب المنصور وفيها يردّ على المصحفي بأمر من الحاجب .

سنة ٣٧٤ ـ يصف المنشأة العمرانية التي أقامها المنصور بمناسبة ختان ابنه عبد الرحمن .

سنة ٣٧٩ ـ يسوغ قيام المنصور بمحاربة ابنه عبد الله وقتله .

سنة ٣٨٣ ـ رسائل شعرية ونثرية مدحية على ألسنة الأزاهير .

سنة ٣٨٧ ـ إنشاء رسالة فتح مدينة شنت ياقب بأمر من الحاجب .

سنة ٣٩٠ ـ إنشاء رسالة توبيخ للجند الفارّين بأمر من الحاجب .

سنة ٣٩٢ ـ كان مع الحاجب المنصور وهو على فراش الموت .

إذاً فقد عاصر الجزيري الحاجب المنصور زهاء عشرين عاماً ، بلغ فيها مبلغاً كبيراً من الحاجب المنصور إذ صار مقرباً عنده منادماً له ، وغدا كاتبه

---

(١) جذوة المقتبس ص١١٢ .

الأول ورئيس ديوان الإنشاء لديه ووزيراً له ، أما سجنه المتكرر فقد كان في مرحلة متأخرة نسبياً لأسباب عدّة ، منها أنه كان بعد أن تولّى ديوان الإنشاء وصار كاتب المنصور الأثير لديه ، يؤكد ذلك سبب سجنه ، كما أن الجزيري أشار إلى ذلك في إحدى رسائله من السجن إلى المنصور ، إذ ذكر أن مدة رضا المنصور عليه قد طالت[1] ، وكذلك أشار في قصيدته الرائية إلى أنه فقد الشباب وشاب ، وكان له وقتها خمسة أولاد وبنت ، وتذكر لنا القصيدة الرائية معلومات بالغة الأهمية لم تذكرها المصادر الأندلسية والمشرقية معاً منها أن مدة سجنه الأطول الذي كان في طرطوشة[2] حتى قول القصيدة هي **ثلاث حقب وأشهر** ، والحقبة هنا : السنة ، يقول :

أشكو إلى الرحمن فرقة شملنا حقباً ثلاثاً قد وصلن بأشهر[3]

وبذلك وبالنظر إلى التواريخ التي استنبطناها يجب أن يكون سجنه الأطول بقلعة طرطوشة بين تاريخين متباعدين قليلاً .

أما **سبب سجنه** فهو اغتراره بنفسه وظنه أنه صار الرجل الأكثر أهمية في الحاشية ، وأن المنصور لا يقدر على الاستغناء عنه ، وهذا ـ كما هو جليّ ـ لا يكون في بداية علاقته مع الحاجب المنصور كما أسلفنا ، فقد عتب المنصور على الجزيري وجفاه وسخط عليه ثم سجنه في مقر حكمه الزاهرة ثم نفاه إلى طرطوشة ، حفظ لنا ابن سعيد سبب سجنه الحقيقي نقلاً عن ابن حيّان في

---

(١) المقتطف ص٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) طَرْطُوْشَة : بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة ، مدينة بالأندلس على سفح جبل ولها سور حصين ، تتصل بكورة بلنسية وهي شرقية بلنسية وقرطبة ، قريبة من البحر ، متقنة العمارة ، مبنية على نهر ابرُه ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها ، وبها أسواق وعمارات وضياع ، ودار صناعة المراكب الكبار من خشب جبالها تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار ، استولى الإسبان عليها سنة ٥٤٣ . معجم البلدان ٤/ ٣٠ ، الروض المعطار ص٣٩١ .

(٣) الديوان ص ١٤٠ .

إعتاب الكتّاب يقول : « وقال ابن حيّان ؛ وذكر قصة ابن حزم[1] الوزير مع ابن أبي عامر في إدلاله المفضي به إلى إذلاله : وفي مثل هذا السبيل كان غضبه على كاتبه عبد الملك بن إدريس المعروف بالجزيري ، وإقصاؤه له مرة بعد مرة وتسييره له إلى طرطوشة وكان أكثر مَن يشركه أعطالاً من الآداب العربية لتوفرهم على علم العدد وانهماكهم في التعاليم الديوانية التي استدروا بها الجباية ، وحصّلوا بها المراتب العالية ، فكان الجزيري يزري بهم ، ويحب الاشتمال على ابن أبي عامر ، ويتصور فرط حاجته إليه في الإنشاء ولم يكن من شأنهم ، فسخط عليه المنصور ، وأقصاه عن حضرته على فرط حاجته إلى خدمته ، وقلّد كاتبه على الحشم ديوان الرسائل ، فاستجزأ به لذهاب مشيخة كتّاب الرسائل في الوقت »[2] .

وتدل بعض الأخبار المتفرقة أنه سجن في عهد المنصور في مكانين هما : **سجن الزاهرة**[3] مقرّ حكم المنصور ، **وسجن طرطوشة** البعيد المنيع ، ولعل

---

(١) «ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م)

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم الحزمية. ولد بقرطبة وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء فتمالؤوا على بغضه، وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم من الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته فرحل إلى بادية لبْلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع بخط أبيه من تآليفه نحو ٤٠٠ مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. أشهر مصنفاته: «الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ط» وله «المحلى ـ ط» في ١١ جزءاً، فقه ـ و«جمهرة أنساب العرب ـ ط» و«الناسخ والمنسوخ ـ ط» و«حجة الوداع ـ ط» غير كامل، وديوان شعر، و«طوق الحمامة ـ ط» وغير ذلك. وللدكتور عبد الكريم خليفة «ابن حزم الأندلسي ـ ط» الأعلام ٤/ ٢٥٤.

(٢) إعتاب الكتّاب ص١٩٥ ـ ١٩٦.

(٣) الزاهرة: مدينة متصلة بقرطبة من البلاد الأندلسية، تقع على نهر قرطبة الأعظم، بناها=

السجن الأول كان في الزاهرة ، إذ ظن المنصور أنه قد يكون درساً نافعاً للجزيري كافياً مكافئاً للذنب الأول الذي اقترفه ، وقد استعطفه الجزيري بالشعر والنثر ، ولعل مما قيل في هذه المرحلة رسالة فائقة الأهمية ، اقتطف منها شيئاً ابن سعيد في مقتطفه ، يقول : « عبد الملك بن إدريس الجزيري كاتب المنصور بن أبي عامر ، كتب عن نفسه إلى مخدومه وقد سخط عليه :

وبعد حمد الله ، المحمود على السراء والضراء ، المسلّم لحكمه وقضائه في السخط والرضا ، فقد علم سيدي ورب النعمة علي ، أن النفوس خيل حلبة تتسابق إلى الغايات التي قدرت لها ، والسعيد سعيد في بطن أمه ، والشقي شقي في بطن أمه ، وقد كان من قدر الله سبحانه إنعامه عليّ برضاك مرة جررت بها ذيول العز في بساط الإدلال إلى أن طالت فعثرت فيها بالاغترار وسابق الأقدار عثرة لا تستقال إلا بالمعتاد من كرمك وإغضائك عن هفوات صنائعك ، والحاجب المنصور ـ أدام الله حلو نصره ـ يعلم أن ريّض الخيل بعد الأدب أمتع ، والمهيض بعد الجبر أصلح »[1] .

فهو يعترف بالاغترار فضلاً عن كون ذلك قدراً من الأقدار ، وهذه الرسالة تميل إلى التفاؤل في فحواها ، وإلى الاتزان في أسلوبها ، حيث التسليم لقضاء الله وقدره على جميع الأحوال . والمنطقية في عرض القضية ، فالبدء بذكر جبلّة النفوس ثم عرض قضيته ، والختام بالإشارة على الحاجب بأنه إذا أطلقه وجبر كسره فإنه هو الفائز ، لأن الجزيري سيكون خيراً مما كان عليه ، ولا بدّ

= المنصور بن أبي عامر لما استولى على دولة خليفته الصبي هشام بن الحكم المستنصر بالله، وأراد الابتعاد عن قصر الخليفة لكثرة مناوئيه فيه، شرع في بنائها سنة ٣٦٨ هـ فحشر الصنّاع والفعلة وبالغ في البذخ فيها ورفع أسوارها وأوثق أبوابها وأقطع وزراءه وكتّابه وقواده وحجابه القطائع الواسعة فابتنوا فيها كبار الدور وجليلات القصور والمنازه الجميلة وبني معظمها في عامين وانتقل إليها المنصور وحشمه سنة ٣٧٠ هـ وازدهرت وقامت فيها الأسواق وكثرت الأرزاق ثم خمل ذكرها بعد أن نهبت وخربت في زمن الفتنة في مطلع القرن الخامس الهجري. الروض المعطار ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(١) المقتطف ص٨٥ ـ ٨٦ .

من التلميح هنا بأن قوله بأن عثرته : « لا تستقال إلا بالمعتاد من كرمك ، وإغضائك على هفوات صنائعك» قد يشي بعثرات سابقة وقع فيها الجزيري وصفح عنه المنصور ، وقد يكون مجرد مديح موجّه لإقالة عثرته .

ولكن الصفح لم يكن سهلاً قريب المنال ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن روّض السجن جماحه الحرون ، يقول ابن الأبّار عن الحاجب المنصور إنه : « رضي ـ بعد ذلك ـ عن عبد الملك لما حمد حاله في **الرياضة** »[1] ، ويشير ابن بسام إلى رسائل شعرية ونثرية كثيرة أرسلها عبد الملك كانت لا تجد سبيلاً إلى قلب المنصور إلى أن أفلحت إحداها ، يقول : « وعتب عليه المنصور وسجنه في مطبق[2] الزاهرة واستعطفه برسائل وأشعار عدة ، فلم يسمع منه ، ثم صفح بعد عنه ، فكتب إليه الجزيري :

عجبت من عفو أبي عامر ... لا بد أن تتبعه مِنّهْ
كذلك الله إذا ما عفا ... عن عبده أدخله الجنّه!

فسرّ المنصور بذلك ، وصرفه إلى حاله ، وردّ عليه ما كان اعتقل من ماله »[3] .

عاد الجزيري إلى حاله من الكتابة والوزارة ، ولكننا لا نلبث أن نرى المنصور يلوح له بالعصا ويصرفه عن منصبه في ديوان الإنشاء ثم ينفيه من قرطبة ويحبسه في قلعة منيعة في طرطوشة ، فيكتب يستعطفه بشعره ويرسل إليه قصيدة دالية تفرد بإيرادها ابن الأبّار في إعتاب الكتّاب ، يقول ابن الأبار في التقديم للقصيدة « عتب عليه المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر وكان في الغاية من البيان والخطابة فصرفه عن الكتابة ، ثم أخرجه من قرطبة واعتقله بإحدى القلاع المنيعة بشرق الأندلس فقال في ذلك :

---

(١) إعتاب الكتّاب ص١٩٦ .
(٢) المطبق : السجن تحت الأرض .
(٣) الذخيرة ٤/ ١/ ٤٧ وانظر المغرب ١/ ٣٢١، رايات المبرزين ص٢٣٠، إعتاب الكتّاب ص١٩٦، نفح الطيب ٤/ ٦٦، وورد البيتان ـ أيضاً ـ غير منسوبين ١/ ٤١٩ .

قـالـوا جفـاه ثـلاثـاً ثـم غـرّبـه ... فليس يـرجـو لـديـه حظـوة أبـدا
جاروا وما عدلوا في القول بل حكموا ... على المقادير جهلاً لا هدوا رشدا
أليس يوقد نصل السيف ضاربه ... قبـل الصّقـال مـراراً جمـة عـددا
حتى إذا مـا سقـى حـدّيـه ريّهمـا ... واهتـز لـدنـاً دعـاه الصـارم الفـردا
ومـا المهـذّب إلا مـن تعـرّقـه ... زمـانـه مخطئـاً طـوراً ومعتمـدا
من لم يذق طعم بؤساه وشدتها ... لـم يـدر لـذة نعمـاه ولا وجـدا
ودون هـذا الـذي قـالـوه أقضيـة ... لله فـي حكمـه لـم يـؤتهـا أحـدا
ولا بـد للقـدر المقـدور مـن أمـد ... يلقاك فيه على حتم وإن بعدا »[1]

ويبدو من نغمة هذه الأبيات التي لم تفلح في إيصال صوتها إلى آذان المنصور بَلْهَ قلبه ، أنها في **مرحلة متوسطة** من سجنه إذ ما زال أمله قوياً بالصفح والعفو والعودة إلى ما كان عليه ، وإسكات ألسنة الواشين وردع شماتة الحاسدين الطامعين في منصبه الرفيع ويبدو أنه كان لهم أثر في ذلك ، في ذلك الجو الملبّد بالوشايات والسعايات ، وإن بدأ يشعر بطول الأيام في حبسه مع ابنه الأكبر الذي لم تشر إليه سائر المصادر والمراجع التي ترجمت له ، ولكنّ الجزيري ذكره بوضوح في رائيته التي بثّت الرحمة في قلب المنصور فعفا عنه ، وأوائل أبياتها :

ألـوى بعـزم تجلّـدي وتصبّـري ... نـأي الأحبّـة واعتيـاد تـذكّـري
شحـط المـزار فـلا مـزار ونـافـرت ... عينـي الهجـود فـلا خيـال يعتـري
وقصرت عنهم فاقتصرت على جوى ... لـم يـدع بـالـوانـي ولا بـالمقصـر
أزرى بصبري وهو مشدود القوى ... وألان عـودي وهـو صلـب المكسـر
وطـوى سـروري كلّـه وتلـذذي ... بـالعيـش طـيّ صحيفـة لـم تنشـر[2]

ثم يذكر زوجه فأولاده ؛ عبد الرحمن فعبيد الله فمحمداً فعبد العزيز ثم ابنته ، ثم يصف سجنه في طرطوشة التي قال فيها الحميري : « وقصبة

---

(١) إعتاب الكتّاب ص١٩٣ ـ ١٩٤ .
(٢) الديوان ص١٣٢ ـ ١٣٣ .

طرطوشة من المنعة والسمو في حد لم يستوفه بالصفة إلا عبد الملك بن إدريس الكاتب المعروف بالجزيري حين سجنه بها المنصور بن أبي عامر »[1] .

في رأس أجرد شاهق عالي الذرا ... ما بعده لموحد من معصر
يأوي إليه كل أعور ناعب ... وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرقى إليه مرة ... في عمره يشكو انقطاع الأبهر
وتخال معمور المنازل حوله ... ضيقاً وإظلاماً ملاحد مقبر[2]

ومن ثم يصف آلامه ومقاساته التي أحالته إلى حال قريب من الموت ، يقول :

يا قرة العينين إني كلما ... رمت السلو أباه شوقي المعتري
وطوارق الفكر التي عوّضنني ... من صحتي حال السقيم المحضر

. . . . .

وإذا دنا فطر أو أضحى هاجني ... فبغلتي أضحي ودمعي مفطري
حيران أذهل عن إجابة من دعا ... باسمي وأوحش في الجميع الحضّر
خرس اللسان كأنما مستنطقي ... مستنطق طلاً بربع مقفر[3]

ثم يذكر أن مدة سجنه هي ثلاث سنين وأشهر كما أسلفناه ، ثم يدلف إلى ابنه الأكبر الذي شاركه عتمة السجن وشدته ، ويصل به الأمر إلى شيء غير يسير من اليأس :

طال العناء وجدّ بالنفس الأسى ... مذ جدّ بي سقمي وطال تنظري
وأخاف فاجئة المنون فإن تكن ... فاقنِ العزاء ـ فدتك نفسي ـ واصبر[4]

ويفوض أمره إلى الله سبحانه تعالى في نهاية القصيدة ، ويبتهل إلى الله

---

(١) الروض المعطار ص٣٩١ .
(٢) الديوان ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٣) الديوان ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٤) الديوان ص ١٤٣ .

الرؤوف الودود السامع المجيب متضرعاً إليه ليرقق قلب الحاجب المنصور ويصفح عنه ويخلّصه مما هو فيه :

والله حسبكـــم وحسبـــي إنـــه ... حسب المنيب القانت المستغفر
وإليه أسند أمركم وكفى به ... سنـداً لكـل مفـوض مستقـدر
وعليه أقصر حالكم فهو الذي ... مـا دونـه لعبـاده مـن معصـر
ولعله في بعض ما يقضي به ... ممـا يشـاء بـلا وزيـر مـوزر
يـدنـي لقـاءكـم بـأوب عـاجـل ... تـرضـاه نفـس الآمـل المتحبـر
لا تسأموا إحضاره رغباتكم ... فهبـاتـه مبسـوطـة لـم تحظـر
وعسى رضى المنصور يسفر وجهه ... فيديل من وجه الفراق الأغبر[1]

« فرقّ له المنصور لما سمع هذا البيت ، وكان سبباً إلى العفو عنه والإحسان إليه »[2] وأعاده إلى ما كان عليه وزيادة من الإنعام والتقريب ، يقول ابن سعيد : « ذكر صاحب الطرف[3] أن المنصور سخط عليه وسجنه ثم أطلقه وأنعم عليه »[4] ، ويرى د . فروخ « أن أبا مروان الجزيري كان يتجرأ على المنصور فكان المنصور يسجنه مرة بعد مرة ، وقد سجنه مرة في برج طرطوشة ، ومرة في سجن الزاهرة ، ثم ردّه بعد السجن إلى الوزارة »[5] .

---

(١) الديوان ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٢) إعتاب الكتّاب ص١٩٥ .
(٣) هو «الشَقُنْدي» (٠٠٠ ـ ٦٢٩ هـ = ٠٠٠ ـ ١٢٣٢ م)
إسماعيل بن محمد، أبو الوليد الشقندي: أديب أندلسي، له شعر من أهل شقندة (Secunda)، مولده بها ووفاته بإشبيلية، ولي في وقت قضاء بيّاسة (Baeza) قرب جيّان، وقضاء لورقة (Lorca)، من أعمال مرسية، له رسالة في «فضل الأندلس» وصف بها أشهر مدنها، نشرت مترجمة إلى الإسبانية، منها مخطوطة في الأحمدية بتونس (المجموع ٤٥٥١) في ١٩ ورقة، و«مناقل الدرر ومنابت الزهر ـ خ» في شستربتي (٤٢٥٤) و«المعجم» في التراجم نقل عنه صاحب الغصون اليانعة كثيراً حتى في تراجم المغاربة» الأعلام ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
(٤) رايات المبرزين ص٢٣٠ .
(٥) تاريخ الأدب العربي ٤/ ٣٢٤ .

ومن دلائل عودته إلى مركزه السابق خروجه مع الحاجب المنصور في حرب صائفة سنة ٣٩٠ هـ وقد كانت وقعة شديدة مع النصارى متحالفين ، استعرت نارها ، واشتد إوارها ، وانفضّ عن الحاجب المنصور كثير من الجند وهرب شطر منهم غير أن الجزيري بقي معه ، وكان من شدّة هول ذاك اليوم أنْ « جعل كاتب المنصور عبد الملك بن إدريس الجزيري يقول لسعيد بن يوسف المعروف بابن القلينة : هلمّ إلى التوديع يا شهيد ، قطعاً على حلول المنية ، فكان مأثوراً بعد انقضاء اليوم »[١] .

وبعد انقشاع غمامة هذا اليوم الأيوم وانتهاء المعركة لصالح المسلمين كان الحاجب المنصور يستشاط غضباً على جنوده لفرارهم وهربهم « وعتب المنصور على كافة جنده بما ظهر من نكوصهم ، وأمر كاتبه على الرسائل عبد الملك بن إدريس بإنشاء كلام انتسخه القواد ليقرؤوه على كافتهم »[٢] .

وظل الجزيري رئيساً لديوان الرسائل حتى آخر أيام الحاجب المنصور ، وقد نصّ على ذلك ابن الأبّار فقال : « ولم يزل يتولى له ديوان الرسائل إلى أن هلك المنصور »[٣] .

واستمر كذلك أثيراً لديه مفضلاً على من سواه حتى وهو على فراش الموت ، فقد اختلف الأطباء في تشخيص مرضه ، ووصفه الجزيري فاكتفى المنصور بأوصاف الجزيري ، يقول ابن بسّام « كان هجر الأطباء في علته تلك لاختلافهم فيها ، **واقتصر على أوصاف كاتبه الجزيري عبد الملك** »[٤] .

حياته في عهد المظفر بن الحاجب المنصور ، ووفاته :

لم يكن عبد الملك المظفر مثل أبيه هيبة وبأساً ، وإن حاول التشبه به والسير في نهجه ، فامتدت إلى المشاركة في الحكم أيد طامعة ، واشرأبّت إلى

---

(١) أعمال الأعلام ص٧١ .
(٢) المصدر نفسه ص٧٢ .
(٣) إعتاب الكتّاب ص١٩٦ .
(٤) الذخيرة ٤/ ١/ ٧٤ .

التصرف بأمور الدولة رقاب طامحة ، منهم الوزير عيسى بن سعيد القطّاع صهر الجزيري ، وطرفة غلام المظفر ، إذ قام المظفر بتنصيب وزيره ابن القطّاع قيماً للدولة فغضب طرفة وجمع حوله جماعة من أعداء ابن القطّاع ومن بينهم الجزيري وابن ذكوان اللذان كانت لهما أطماع في الحكم ، فزيّن الجزيري لطرفة أن يحكم بدلاً من المظفر كما حكم كافور الإخشيدي باسم مولاه مصر ، فما كان منه إلا أن حمل المظفر على استيزار الجزيري على رغم أنف ابن القطّاع ، وقد نصّ ابن الأبّار على أن الجزيري قد تولى الوزارة في عهد المظفر فقال : « **ثم استوزره بعده المظفر** عبد الملك بن محمد بن أبي عامر »[1] .

ولم تطل حياة الجزيري في عهده ، إذ أوغر الوزير ابن القطاع صدر المظفر على أبي مروان الجزيري فذكر له أنه شايع غلامه طرفة على معصيته ومناصرته إياه على تولي مقاليد الحكم ، فزجّ المظفر به مع طرفة في المطبق وهو في إحدى غزواته ودسّ عليه بعضُ مناوئيه قوماً من السودان خنقوه في شوال سنة ٣٩٤ هـ . وقد حفظ لنا ابن بسام خبر موته مطولاً منقولاً عن ابن حيان أورده بتمامه لأهميته الفائقة ولكثرة وهم المتقدمين والمتأخرين ممن ترجموا له وذكروا وفاته في ذلك ، يقول : « قال ابن حيان[2] : وكان عبد الملك بعد أبيه قد فوّض إلى عيسى بن سعيد القطّاع[3] وزيره أمرَه ، فصار عيسى قيّم الدولة ؛

---

(١) إعتاب الكتّاب ص١٩٦ .

(٢) ابن حَيَّان (٣٧٧ ـ ٤٦٩ هـ = ٩٨٧ ـ ١٠٧٦ م)
حيّان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان: مؤرخ بحّاث من أهل قرطبة، كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه وأحسنهم تنسيقاً له. من كتبه: «المقتبس في تاريخ الأندلس ـ خ» مجلدان منه، ويقع في عشر مجلدات؛ طبع جزء منه في سيرة الأمير عبد الله بن محمد الأموي بقرطبة وأحداث عصره. وله «المبين» في تاريخ الأندلس أيضاً، أكبر من المقتبس، وكتاب في «تراجم الصحابة» وجد الجزء الثالث منه» الأعلام ٢/ ٢٨٩ .

(٣) «ابن القطّاع (٠٠٠ ـ ٣٩٧ هـ = ٠٠٠ ـ ١٠٠٦ م)
عيسى بن سعيد المعروف بابن القطاع، وزير أندلسي كان قيّم دولة أبي عامر والمتصرف في شؤونها، أصله من قوم يعرفون ببني الجزيري من كورة باغة، كان أبوه=

فحسده رجال العامرية ، وحملوا طرفة فتى عبد الملك على مناوأته ، فسمت نفسُ طرفة لذلك لفضل همّة كانت له ، وحظ أدب ميّزه عن طبقته . فاستخلص من أعداء عيسى لمة ، منهم عبد الملك الجزيري ، وأبو العباس بن ذكوان[1] ، فَزُيِّنَ له التقدم عليه ، وعرّفه الجزيري ما تهيأ لكافور الأسود مولى محمد بن طُغج صاحب مصر من الملك باسم مولاه تلك المدة الطويلة ، وأن محلّه فوق محل ذلك بابيضاض النفس والجلد ، واكتمال الفضل والمعرفة . فأصغى له طرفة وتدبّر برأيه ، وحمل مولاه على أن قدَّم عبد الملك الجزيري إلى خطة الوزارة ، فعارض عيسى في كل أمر حتى كاد يسقطه لولا استخذاء عيسى له . ثم اعتلّ عبد الملك المظفر ، فانفرد طرفة بخدمته ، وكثر الإرجاف به ، فجمّل له ابن الجزيري بغيه وسوء رأيه ، وجسّره على أن يضبط الأمر لنفسه باسم الطفل مولاه ، على رسم كافور الذي ذكرناه .

ثم رأى المظفر أن يُخرجَ عسكراً إلى شرقي الأندلس لإنقاذ ما فيه من الأطعمة . فهشّ فتاه طرفة لذلك ، وسأل مولاه أن يُخرج معه عيسى الوزيرَ وقد

= معلماً فيها واتصل عيسى برجال الديوان في قرطبة وصحب محمد بن أبي عامر وقت حركته في دولة «الحكم» ثم لم يلبث أن اشتمل على الدولة هو ووالده وصنائعه، وصاهرابن أبي عامر سنة ٣٩٦ هـ، وكثر حسّاده والسعاة به، فاضطرب ما بينه وبين عبد الملك بن محمد بن أبي عامر، وانتهى أمره بأن استدعاه عبد الملك إلى مجلس شراب وقتله وقتل بعض أصحابه وقضى على عصبته وأنصاره». الأعلام ٥/ ١٠٣ .

(١) «ابن ذَكْوَان (٠٠٠ ـ ٤١٣ هـ = ٠٠٠ ـ ١٠٢٢ م)

أحمد بن عبد الله بن ذكوان، أبو العباس: قاضي القضاة بالأندلس، ولاّه القضاء المنصور بن أبي عامر بقرطبة، وكان من خاصته يلازمه في رحلاته وغزواته، ومحله منه فوق محل الوزراء، يفاوضه المنصور في تدبير الملك وسائر شؤونه، وكذلك كانت حال المظفر والمأمون ابني المنصور معه بعد وفاة أبيهما. وعزل في أيام المظفر ثم أعيد، وتوفي المظفر فزاد أخوه المأمون (عبد الرحمن) في رفع منزلة ابن ذكوان وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة ولما انقرضت دولة بني عامر، وقامت الفتن في قرطبة نفي ابن ذكوان وأهله إلى المرية، فوهران ثم أعيدوا، فاعتزل الناس إلى أن توفي، ولبعض الشعراء رثاء فيه» الأعلام ١/ ١٥٦ .

أسرّ الإيقاع به ، فأجابه مولاه لذلك ، فأخذ في التجهّز وأسرف فيما أتاه ، ولم يُبق من وجوه القوّاد وصنوف العُدد والحَلْي وكرائم النجائب عند مولاه إلا ما لا قَدْر له حتى صار في أبّهة الملوك . وأخذ الوزيرَ عيسى في الخروج معه ، فتثاقل له ، وأحسّ بالشر في صحبته ، ورام الانفراد بالمظفر في ذلك فلم يُمكنه لضبط طرفة بابَ مولاه ، فألقى عيسى بنفسه إلى مفرّج صاحب مدينة الزاهرة ثقة المظفر واستغاثه لمحنته ، فوصّل له رقعة إلى المظفر شرح فيها مراد طرفة ، عند ذلك أُتي طرفة من مأمنه ، واستعفى الخروج جملة ، فلم يساعفه مولاه ، فنفذ لطيّته والعُجب يقوده والحَيْن يسوقه ، وخلا وجه المظفر لعيسى بعده ، وذكر له أشياء حنق بها على طرفة . وتعجّل المظفر الخروج إلى غزوته إثر طرفة ، فخرج معه وزيرُه عيسى ، والجزيري يغالطه في القدح في طرفة ، وفي قلبه من عيسى النار المتضرمة ، وعيسى أعلم الناس بنفاقه ، وأحبهم في سفك دمه ، فلما صار عبد الملك إلى بعض الطريق دبّر عيسى على ابن الجزيري أن ينصرف إلى الحضرة ليحصّل قبض بقايا الخراج والنفقات ، ولم يحسّ بما دُبِّر عليه وعلى صاحبه ، فلما وصل المظفر سرقسطة[1] ، وطرفة مرتقب قدوم مولاه على مقربة منها ، دخل في أبّهته وتعبئته ، وصار إلى قصرِ مولاه مدلاً بمنزلته ، فعُدل به عن مجلسه ، ولم تقع عين المظفر عليه ، وقُيّد لوقته ، وأخرجَ إلى الجزائر الشرقية . فلم يكن بين دخوله سرقسطة أميراً وخروجه عنها أسيراً إلا ساعة . واتخذ الناس حديثه عجباً .

ثم أنفذ المظفّر إلى الحضرة بضم عبد الملك الجزيري إلى **المطبق**

---

(١) سَرَقُسْطَة: بفتح أوله وثانيه، ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة، بلدة مشهورة في شرق الأندلس وهي المدينة البيضاء لكثرة جصّها وجيارها، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر آهلة ممتدة الأطناب، تتصل أعمالها بأعمال تُطيلة، واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن متصلة الجنات والبساتين غزيرة الخيرات كثيرة البركات، ولها سور حجارة حصين، وهي على ضفة نهر كبير منبعث من جبال القلاع، ولها أقاليم عدة، وقد أخذها الإسبان سنة ٥٠٢ هـ. معجم البلدان ٣/ ٢١٢، الروض المعطار ص٣١٧، صلة السمط ص١٥٠ .

بالزاهرة . وكتب عيسى الوزير إلى مُفَرّج العامري وإلى عبد الملك بن مسلمة ، وكانا من أعداء ابن الجزيري ، وحرّضهما على إبادته ، فأدخل عليه في مطبقه قوم من السودان وخنقوه ، وأشيع موته ، وأخرج ميتاً بعد أيام ، وأسلم إلى أهله ولا أثر به ، ودُفن في **شوّال** سنة أربع وتسعين . فصرع منه ـ رحمه الله ـ يومئذ فارس نثر ونظام ، ومُزّق بقتله وشي الكلام ، وكان يشبه في ذكائه وأدبه مع عقربيّة الطبع ، وكثرة الضر وقلة النفع ، محمد بن الزيّات[1] في ذلك الصقع . أخبرني أبي خلفُ بن حسين قال : سألت الذي تولى قتل ابن الجزيري في محبسه فجعل يصف لي سهولة ما عاناه منه لقضافته[2] وضعف أسره[3] ، ويقول : ما كان الشقي إلا كالفرّوج في يدي ، دققت رقبته بركبتي ، فما زاد أن نفخ في وجهي ، فعجبت من جهل هذا الأسود »[4] .

في خبر موت أبي مروان الجزيري ـ رحمة الله عليه ـ في تراجم القدامى والمحدثين أوهام جسام في زمان الوفاة ومكانها وأسبابها ، فمن العجيب حقاً أن ابن بشكوال ينقل عن ابن حيّان ـ أيضاً ـ خبر موته موجزاً ولكنه يجعله في شهر ذي القعدة لا في شهر شوّال ، يقول : « وقال ابن حيّان : وتوفي بالمطبق في سخطة المظفر عبد الملك بن أبي عامر في **ذي القعدة** سنة أربع وتسعين وثلاثمئة وهو يومئذ في إحدى غزواته »[5] .

---

(١) «ابن الزيّات (١٧٣ ـ ٢٣٣ هـ = ٧٨٩ ـ ٤٨٧ م)

محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة أبو جعفر المعروف بابن الزيّاتِ: وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب من بلغاء الكتّاب والشعراء. نشأ في بيت تجارة في الدسكرة (قرب بغداد) ونبغ فتقدم حتى بلغ الوزارة وعوّل عليه المعتصم في مهام دولته وكذلك ابنه الواثق، ولما مرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل فلم يفلح، وولي المتوكل فنكبه وعذّبه إلى أن مات ببغداد، وكان من العقلاء الدهاة، وفي سيرته قوة وحزم. وله ديوان شعر ـ ط» الأعلام ٦/ ٢٤٨ .

(٢) قضف: نحف ودقّ وقل لحمه لا من هزال.

(٣) الأسر: شدة الخَلْق والخُلُق، والقوة.

(٤) الذخيرة ٤/ ١/ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ .

(٥) الصلة ص٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

أما ابن عذاري الذي يورد طرفاً من خبر موته فيجعله بعد أربع سنوات أي **سنة ٣٩٨ هـ** ، يقول عن أحداث هذه السنة : « ولما أبلّ الحاجب من مرضه استعجل الخروج للغزو في شهر رمضان من هذه السنة ، ووزيره عيسى معه ، وعبد الملك بن إدريس صاحب طرفة يكتب له الرسائل في وقته ، ولا يشك أن **حال طرفة** باقية عند مولاه . . . وفي هذه السنة قتل المظفر عبدَ الملك بن إدريس الجزيري الكاتب البليغ وكان الوزير عيسى مكّن في قلب المظفر على هذا الكاتب من صحة مشايعته للخائن طرفة على المعصية ، ومظاهرته إياه على غش الدولة ما أوجب عنده قتله وإلحاقه بصاحبه طرفة »[١] .

وفيما خلا أولئك فإن المترجمين القدماء لم يحددوا زمن وفاته أو أغفلوه ، فالحميدي وهو أقرب المترجمين الذين أشاروا إلى زمن وفاة الجزيري لم يحدد تلك الوفاة بدقة إذ قال : « مات أبو مروان الجزيري الكاتب **قبل الأربعمئة بمدة** »[٢] .

وذكره ابن سعيد في رايات المبرزين في زمرة « الكتّاب : **المئة الرابعة** »[٣] ، وأشار إلى أنه « على يد المظفر هلك »[٤] ، وكذلك ذكر الذهبي أنه « توفي في حبس المظفر بن أبي عامر »[٥] .

وقد تمّ الوهم على ابن خاقان في تصوره حياة الجزيري فخلط أحداث حياته ، ولاسيما علاقته مع صهره ابن القطّاع الذي كان يكرهه ويحقد عليه بل كان سبباً في قتله ، فظن أن المظفر قتله لعلاقته الوطيدة بابن القطّاع ، وأخطأ كذلك في مكان الوفاة يقول : « إلى أيام المظفر فمشى على سننه[٦] ، وتمادى السعد يترنم على فننه ، إلى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطّاع ، صاحب

---

(١) البيان المغرب ٣/ ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢) جذوة المقتبس ص٢٨١ .
(٣) رايات المبرزين ص٢٣٠ .
(٤) المصدر نفسه ص٢٣٠ .
(٥) تاريخ الإسلام ص٣٠٣
(٦) السنن : استمرار الطريق ومسلكه ونهجه .

دولته وأميرها المطاع ، كان أبو مروان قديم الاصطناع له والانقطاع إليه فاتهم معه ، وكاد أن يذوق الحِمام ويجرعه ، إلا أن إحسانه شفع ، وبيانه منع ودَفع ، فحط عن تلك الرتب ، وحمل إلى طرطوشة على القتب[1] ، فبقي هنالك معتقلاً في برج من أبراجها نائي المنتهى ، كأنما يناجي السها ، قد بعد ساكنه عن الأنيس ، فعُدّ من النجم بمنزلة الجليس ، تمر الطيور دونه ولا تجوزه ، ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه ، فبقي فيه دهراً لا يرتقي إليه راق ، ولا يرجى لبثه راق ، إلى أن أخرج منه إلى ثراه ، واستراح مما عراه »[2] .

وقد تنبه محقق كتاب المطمح الأستاذ علي شوابكة لوهم ابن خاقان في علاقة الجزيري بصهره ابن القطاع وأن الجزيري قد توفي قبل ابن القطاع بثلاث سنين ، يقول : « وقد أخطأ الفتح في تخيّله للعلاقة الحميمة بين الجزيري وابن القطاع إذ إن الجزيري كان حاقداً على ابن القطاع ، وقد دفعه حقده إلى التآمر عليه مع فتاهُ طرفة الصقلبي ففشل فيما سعى إليه ، وقبض على الجزيري وطرفة ، وأودعا المطبق إلى أن مات الجزيري سنة ٣٩٤ ، وقد مات ابن القطاع بعد الجزيري بثلاث سنوات »[3] .

ولكن قد فات المحقق الجليل أن هذا القسم من ترجمة الجزيري لدى ابن خاقان كثير الأوهام ، فلم تكن حياة الجزيري هادئة هانئة في ظل ظليل من النعمة والحبور كما صوّرها الفتح بن خاقان ، فقد سجن غير مرّة في الزاهرة وطرطوشة ، كما أن سجنه الأخير ووفاته لم يكونا في طرطوشة بل كانا في مطبق الزاهرة ، والأهم من ذلك أن ذينك البيتين ليسا من قصيدة أرسلها إلى المظفر ، وإنما هما من رائيته المشهورة التي استعطف بها الحاجب المنصور فشفعت له ، وفي خاتمتها يذكر اسم المنصور صراحة مما لا يدع أي مجال للشك فيمن قيلت فيه ، إذ يقول :

---

(١) القتب : رَحْل صغير على قدر السنام .
(٢) مطمح الأنفس ص١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٣) مطمح الأنفس ـ الهامش ص١٧٨ .

وعسى رضا المنصور يسفر وجهه فيديل من وجه الفراق الأغبر[1]

وقد تبع ابنُ سعيد في مغربه الفتحَ بن خاقان في تصوره الواهم لهذه المرحلة من حياة الجزيري ومكان وفاته ، يقول : « ثم كتب بعده للمظفّر ، فلمّا قتل صهرَه ابنَ سعيد اتهمه ، **فسجنه في برج طرطوشة ثم قتله هناك** »[2] .

وتبعهما الأستاذ الدكتور إحسان عبّاس في ترجمته للجزيري في إحدى حواشي كتاب نفح الطيب ، مع أنه ذكر من مصادر ترجمته ما يصحح هذا الوهم ويلغيه ، يقول : « ثم كتب بعده للمظفر ، فلما قتل صهره عيسى بن سعيد بن القطاع تغيّر المظفر على أبي مروان **فسجنه في برج من طرطوشة ، وقتله (٣٩٤) هناك** »[3] .

وتبعهما ـ كذلك ـ الأستاذ الفاضل خير الدين الزركلي في ترجمته المكثفة ، يقول : « تولّى الإنشاء أيام المنصور بن أبي عامر ، وبقي إلى زمن ابنه المظفر فعزله هذا واعتقله في برج من أبراج طرطوشة ، **لبث فيه إلى أن مات** »[4] .

وكذلك وهم المستشرق الكبير د . فؤاد سزكين ، فذكر أن الجزيري مات في سجن المنصور مع أن المنصور توفي قبله بسنتين ، يقول : « عاش في قرطبة كاتباً للمنصور بن أبي عامر ، كان عالماً متعدد الفنون ، وشاعراً مكثراً ، **مات في سجنه سنة ٣٩٤/ ١٠٠٤** »[5] .

وكذلك وهم الأستاذ المحقق محمد عبد الله عنان في تحقيق سنة وفاته ، **فجعلها بعد ٣٩٦ هـ!!**[6] .

---

(١) الديوان ص ١٦٥ .
(٢) المغرب ١/ ٣٢١ .
(٣) نفح الطيب ١/ ٥٢٩ الحاشية .
(٤) الأعلام ٤/ ١٥٦ .
(٥) تاريخ التراث العربي ٥/ ٧٢ .
(٦) دولة الإسلام في الأندلس ص٦١٧ .

وكذلك وهم الأستاذ الفريد البستاني فجعل سنة وفاته بين تاريخين غير صحيحين ، من دون الإشارة إلى مصدره في ذلك ، يقول : « عبد الملك بن إدريس الجزيري : كاتب شاعر أديب يعدّ من فطاحل البلغاء ، له رسائل وأشعار مشهورة ، كان من وزراء الدولة العامرية ، **توفي بين سنة ٣٩٥ و٣٩٨ هـ** »[١] .

وتمّ الوهم على الدكتور مصطفى السيوفي ؛ فوضعه في رسالته للدكتوراه المخصصة للنثر الأندلسي **في القرن الخامس الهجري!** ، واستشهد بجزء من رسالته في البنفسج[٢] .

وهذا كله يدل على أهمية سبر الأخبار والروايات بمسبار نقدي حتى يتميز الصحيح من الخاطىء من الأخبار ، وعلى عدم جعل الأخبار والروايات حقائق مسلّماً بها مهما كانت ثقتنا بأصحابها ، فالوهم أو الخطأ لا يعصم منه إلا نبي ، ومن طرف آخر فهذه الأوهام اليسيرة لا تقدح في علم أصحابها الجم الغفير ، وكفى المرء نبلاً أن تعد معائبه .

---

(١) رحلة الوزير ص XII .

(٢) ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري ص١٣٨ ـ ١٤٧ .